بسم الله الرحمن الرحيم

الجمال في عاشوراء

ISBN 978-9933-489-15-1

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق - وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠١١: ١١٢٣

الرقم الدولي: ٩٧٨٩٩٣٣٤٨٩١٥١

BP
٤١ / ٥٠٨
٥ ح /
٨ ج

الحسني، نبيل قدوري حسن، ١٩٦٥- م.

الجمال في عاشوراء / تأليف السيد نبيل الحسني. - الطبعة الثانية منقحة ومزيدة. -

كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٣٣ق. = ٢٠١٢م.

٢٢٤ص. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ ٧٣).

المصادر: ص. ٢١٣ - ٢٢١؛ وكذلك في الحاشية.

١. واقعة كربلاء، ٦١ ق. - نتائج وتأثيرات. ٢. عاشوراء - الجمال (فلسفة). ٣. الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث. ٤. ٦١ ق. - صفات. ٤. الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث. ٤. ٦١ ق. - أصحاب - صفات. ٥. زينب بنت علي بن أبي طالب (س)، ٦-٦٢ق. وواقعة كربلاء،٦١ق. ألف. عنوان.

BP ٤١ / ٥٠٨ / ٥ح ٨ج

تمت الفهرسة في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

الجمالُ في عشوراء

دراسةٌ جماليةٌ وصفيةٌ لواقعةِ الطفِّ تستمدُّ رؤيتَها

من القرآنِ والسُّنّةِ والتاريخِ وعلمِ المعرفةِ الحسّيةِ (الاستطيقا)

دراسة وتأليف

السّيّد نبيل الحسني

الطبعة الثانية - مزيدة ومنقحة

إصدار

وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

في قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الثانية ـ مزيدة ومنقحة

١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م

العراق: كربلاء المقدسة ـ العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية ـ هاتف: ٣٢٦٤٩٩

www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

مَا رَأَيْتُ إِلَّا جَمِيلًا

العَقِيلَةُ زَيْنَب عَلَيْهَا السَّلَام

المحتويات

المبحث الأول

ما هو الجمال؟

المبحث الثاني

مفردة الجمال في القرآن الكريم

المبحث الثالث

جمال العترة النبوية عليهم السلام

المبحث الرابع

مفهوم الجمال عند الإمام الحسين عليه السلام بين البعد النفسي (السايكولوجي) والبعد الفلسفي

المبحث الخامس

الجمال في عاشوراء بين المشهد العام والمشهد الخاص

المبحث السادس

مشاهد جمالية من عاشوراء

المبحث السابع

مفهوم الجمال عند العقيلة زينب عليها السلام

مصادر الكتاب

الإهداء

احترت وأنا أكتب هذه السطور بين تقديمها لعنوان جمال المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أم لزينة أبيها.

ولذا..تراني أقف مطأطئاً رأسي.. عارقاً جبيني.. ترتعش يداي ويلفني الخجل فبضاعتي مزجاة لا تليق بمن كانت زينة لأبيها، وعقيلة بني عمومتها وبنيها، وشبيهة جدتها خديجة الكبرى عليها السلام. وكفى بها شأناً ومقاماً.

ألاّ إنني وأنا أقف عند أعتاب بابها تذكرت قول الشاعر حيث قال:

هذه زينب ومن قبل كانت بفنا دارها تحط الرحالُ

فقلت في نفسي: هي والله من قبل ومن بعد بفنا دارها تحط الرحال.

فأتبعته بقولي ويدي تمسك حلقة باب دارها:

هذه زينب وفي كل آن جود كفها مُثقِلٌ لِلجمال

سيدتي: عبدكم الآبق قد جاءكم بهدية بعد تقصير في خدمتكم راجياً النظر لي بعين الرأفة ملتمساً القبول. فليس من شأنكم، الرد ولا من شيمكم الإعراض عن السائل. فهأنذا ملتمس لفضلكم وجودكم.

خادمكم وولدكم نبيل

مقدمة القسم

الحمد لله الذي منّ علينا بنعمه وآلائه سيما نعمة العلم والمعرفة، والصلاة والسلام على المصطفى الأمجد أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد: من سرور قسم الشؤون الفكرية والثقافية أن يسهم في رفد المكتبة الإسلامية بنتاجاته الفكرية التي ستكون ذراعاً قوية في نشر الثقافة الإسلامية سيما الثقافة الحسينية، ومن بهجته أن يقدم كتابه الثامن الموسوم (الجمال في عاشوراء) ليسلط الضوء على الصور الجميلة التي ظهرت في عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام ولكي يطلع القارئ الكريم على الجوانب النيّرة الأخرى من أحداث عاشوراء. فتضافرت الجهود الخيرة مشكورة لإخراج هذا الكتاب النافع، ابتداءً من التنقيح اللغوي والأدبي ومروراً بالتنضيد والإخراج وانتهاءً بالطبع والنشر، ولا يفوتني أن أقدم شكري وتقديري لأمانة العتبة الحسينية المقدسة المتمثلة بأمينها سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي الذي أبدى استعداده التام لدعم الحركة الفكرية والثقافية التي يقوم بها قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، كما أشد على يد السيد المؤلف الذي بذل قصارى جهده في تأليف هذا الكتاب القيم.

الشيخ علي الفتلاوي

رئيس قسم الشؤون الفكرية والثقافية

مقدمة الكتاب

عندما يقف الإنسان أمام مجموعة من الكتب ويبدأ بقراءة عناوينها ليختار ما يتناسب مع توجهاته الفكرية والثقافية فإنه بمجرد أن يقع بصره على عنوان يحمل لفظ «عاشوراء» سرعان ما تترسم في ذهنه صورة ملؤها الألم والحزن والوحشة.

والسبب في ذلك هو أن واقع عاشوراء بما فيه من المآسي والمصائب التي أنزلتها مجموعة من شرار الخلق على آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم تستثنِ منهم طفلاً ولا امرأة ولم تفرق بين من له رحم ماسة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كريحانته من الدنيا وسبطه الإمام الحسين وولده عليه السلام وبين من هو من عامة الناس.

إن هذا الواقع قد فرض على أذهان الناس هذه الصورة الحزينة والمؤلمة، بل قد شغل هذا الواقع العاشورائي كثيراً من القرّاء والباحثين والمفكرين وراح يضفي بظلاله الذي اتشح بالسواد كثيراً من المشاهد المأساوية التي تأجج العواطف الإنسانية فتجعلها حاجزاً يحجب عنهم العديد من الصور الحياتية والكثير من المفاهيم الفكرية التي زخرت بها ملحمة عاشوراء.

حتى إن العديد من الأبحاث إنْ أرادت التحدث عن عاشوراء متجنبةً الولوج في مصائبها فهي إما أن تستمد مادها البحثية من الأسباب والمقدمات التي أفرزت «عاشوراء»؛ أو تجعل نتاجها الفكري ينصب على النتائج التي حققتها الحادثة.

في حين أن عاشوراء في الواقع الحياتي هو مفصل من مفاصل الحضارة الإنسانية التي يتحرك من خلالها الفكر الإنساني، ورافد من روافد الوجود الحياتي الذي أعاد إلى الحياة نضارتها وقدرتها على التألق والزهو فكانت بحق الملهم الذي أوقد أذهان المفكرين والمصلحين في رفد الحياة بالأسس البنائية لقيام حياة كريمة وسالمة من الانحرافات.

إذن: عاشوراء بآلامها وأحزانها ومآسيها ورزاياها وقيمها؛ بل بكل مفرداتها كانت البوابة الواسعة لحياة حضارية فيها كل ما يحتاج إليه الفكر من مفاهيم ومصاديق وقيم وحقائق كالجمال وغيره.

والجمال في هذه الحياة سواء أكان يدرك بالحواس أم بالبصيرة قد زخرت به عاشوراء على الرغم من آلامها وأحزانها ومصائبها! لأنها - وكما أسلفنا - قد جمعت كل ما يحتاج إليه الفكر. حتى وإن لم يلمس بها كثيرون جمالاً، ولم يلحظ آخرون أن لها حسناً وبهاءً.

في حين وجدنا من خلال البحث إن فيها جمالاً يخطف الأبصار ويؤنس القلوب ويحيّر الفكر ويؤجج العواطف ويدفع النفس إلى التمعن بتلك المشاهد الجمالية والأنس بها طويلاً.

فكم من مشهدٍ بدا فيه جمال تلك الشخوص الأطهار فكان شاغلاً لعين الناظرين بما فيهم الأعداء.

وكم من مشهدٍ بدا لذوي الألباب والبصائر قد تجلى فيه جمال القيم الخلقية والمحاسن النفسية فأصبح مشرقاً في سماء قلوبهم ينير لهم الطريق ويسدد لهم المسير.

ولأجل أن يكون البحث مرآة تعكس هذا الجمال إلى فكر القارئ الكريم وقلبه. قمنا بتتبع مشاهد الجمال في يوم عاشوراء سواء أكانت في تلك الشخوص الأزكياء عليهم السلام كجمال وجوههم وهيئاتهم؛ أم كانت في مشاهد حياتية وفكرية زخرت بها عاشوراء وجسدتها أبطالها، ابتداء من ليلة العاشر وانتهاء برؤية العقيلة زينب عليها السلام لكل ما جمعته عاشوراء من مكونات؛ فكانت بحق رؤية خاصة تعبر عن كل مكونات الجمال التي استلهم منها - كاتب هذه السطور - قراءته ونظرته إلى الجمال.

فكانت بهذا المضمون الذي يراه القارئ الكريم.

والله الموفق والمسدد لكل صواب.

السيد نبيل قدوري حسن الحسني

١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧م

المبحث الأول

ما هو الجمال؟

في البدء وقبل الوقوف عند مظاهر الجمـال وتجلياتـه في يـوم عاشـوراء وبـين صفحات مأساة كربلاء ولوحات رزية الطف.

لابد من الدخول إلى علم الجمال ومفهومه وتعريفه وموضوعه كي نرتشف من تلك الرؤى رؤيتنا للجمال في عاشوراء.

المسألة الأولى: تعريف الجمال ومفهومه

قـد لا يخفـى علـى القـارئ الكـريم مـا للأبحـاث الفلـسفية مـن رؤى عقليـة ومعالجات فكرية حول ما يحيط بالإنسان من مظاهر مختلفة، والجمـال، هـو واحـد من بين أهم المظاهر التي شغلت الفلاسفة والمفكرين حتى أصبح هذا السؤال الذي تصدر عنوان المبحث من بين الأسئلة التي ظلت تبحث عن إجابة وافية.

وذلك أن الـسؤال عـن الجمـال هـو: (سـؤال كـبير تتجلـى فيـه واحـدة مـن المعضلات العميقة والمعقدة التي واجهت الفرد البشري على مدى تاريخه، فنرى أن أعلام الإنـسانية مـن فلاسـفة ومفكـرين وعلمـاء وفنـانين قـد أجهـدوا أنفـسهم في محاولة الوصول إلى إجابة مقنعة لهذا الـسؤال، فكـدّوا وجـدّوا واجتهـدوا لابتكـار المناهج والأساليب الكفيلة بحل مشكلات الحياة الفكرية، وكان الجمال واحداً مـن

المواضيع المهمة المشكلة للنظام الفلسفي الذي يؤسسه أي من الفلاسفة.

ورغم أن موضوع الجمال قد أشبع بحثاً وتحليلاً، لكن المشكلة ظلت، تقريباً، بلا حل أصيل، من حيث تعدد الإجابات وتضاربها، عن معنى الجمال وماهيته، فكل فيلسوف يزعم أن إجابته هي الصحيحة ويردفها بالعديد من الحجج والأدلة والبراهين لتأييدها، واتسعت البحوث في علم الجمال وتنوعت وتضاربت الآراء حتى أن الباحث عن معنى الجمال ليجد نفسه في خضم عظيم من تلك الآراء والنظريات ويبقى في وسط الميدان حائراً، فلكل رأي حججه المؤيدة، ولكل رأي انتقادات مفندة له أو مقللة من قيمته.

وبعد؛ فلا غرابة فيما ذهب إليه (ولْ ديورانت) بأن أثقل الكتب في العالم ظلاً، هي تلك التي كتبها الناس عن الجمال، وكيف ترتعش عظاما لميتافيزيقا الصلبة وتفزع بعض الشيء حين يحل الجمال إلى حين محل الحق ويلتمس في الحكمة محراباً)[1].

ولعل مناط الصعوبة في هذا السؤال يعود إلى أن الفلاسفة والمفكرين ينطلقون في رؤيتهم وفهمهم للجمال من الواقعية والمثالية اللتين لكل منهما منظومة من المعارف عن الكون والطبيعة والمجتمع فضلاً عن انقسامهم ـ في الجمال ـ إلى رأيين وهما الرأي الموضوعي الذي يرى أنصاره (الجمال قائماً بذاته وموجوداً خارج النفس الشاعرة فهو ظاهرة موضوعية لها وجودها الخارجي وكيانها المستقل مما يؤكد تحرر مفهوم الجمال من التأثر بالمزاج الشخصي.

ويعود للاتجاه الموضوعي إلى أقدم فلاسفة الإغريق فقد انطلق (ديموقريط)

---

(١) فلسفة الفن والجمال: ص٢٧٩ ـ ٢٨٠.

من القول بأن للجمال أساساً موضوعياً في العالم وإن جوهر الجمال في البناء المنتظم في التناسب وانسجام الأجزاء والنسب الرياضية الصحيحة.

وشرح (أفلاطون) رحلة النفس في سعيها وراء الجمال وإن الإنسان يبدأ بتقدير الجمال الماثل في شكل ما ثم ينتقل إلى مرحلة تالية يقدر فيها عدد من الأشكال الجمالية ثم يقدر الجمال المجرد؛ ولابد كي يصل إلى معرفة مثال الجمال لابد من المثابرة والدراسة المستمرة حتى تنكشف له الرؤية ممثلة في عالم الجمال الماثل في كل شيء ويظهر النور في النفس الإنسانية، وعندئذ نرى أن كل الأشياء جميلة.

وعد (أرسطو) الجمال صفة لها وجودها الخارجي الموضوعي فالعقل يدرك الجمال بخصائص موضوعية معينة في الموضوع الخارجي أو في العلاقات التي بين أجزائه وذلك نتيجة اعتماده على كم معين ونسق محدد وإن من أهم صفات الجميل الترتيب والتناسب والوضوح والغائية والوحدة والتنوع.

أما الرأي الثاني: فكان الرأي الذاتي، ولقد نشأ المذهب الذاتي للرد على التطرف الشديد في تصوير الجمال وتقويمه، فإذا كان الموقف الموضوعي قد عدّ الجمال صفة عينية، أي حالة من الشيء الجميل فإن أصحاب الموقف الذاتي قد عدّوا الجمال معنى عقلياً فحسب وليس صفة في الشيء تقوم بمعزل عن إدراكنا لها.

فلقد عدّ أنصار المذهب الذاتي الجمال ظاهرة نفسية وخبرة ذاتية وأن المحاكمة الذوقية لا تعبر عن صفة الشيء الجميل وإنما تعبر في الواقع عن حالة الإنسان النفسية.

فالجمال بمنزلة نور ينعم به قلب الإنسان الذي يتذوق الجمال وهو نسبي يتعلق بشخصية الإنسان وتكوينه الاجتماعي والثقافي والنفسي.

وكان (أفلاطون) يرجع جمال الأشياء الخارجية إلى جمال داخلي وروحي.

وكان (كانط) يعد مصدر الشعور بالجمال هو فينا في مزاج الروح وليس في الطبيعة أو في الموضوع الخارجي ولاحظ (هيجل) أن الجمال في الطبيعة لا يظهر إلا كانعكاس للجمال الذهني.

ونسب (جوفروا) كل إحساس بالجمال إلى إحساس بقوة باطنية)[1].

في حين نشأ مذهب آخر للفلاسفة حاولوا فيه الجمع بين الرأي الأول والثاني في معرفة الجمال، فكان المذهب (الموضوعي الذاتي).

فضلاً عن ذلك:

فإن الجمال هو واحد من القيم الثلاث التي يكتمل بها قوام الإنسان السوي، وهي (الحق، والخير، والجمال) فهذه القيم قد تماسكت فيما بينها ولزمت العقل ورسمت له طريقه في تكوين حياة كريمة، مما يتعذر ـ وبشكل كبير ــ الفصل بين هذه القيم الثلاث وذلك لتداخل معانيها (مما يحتاج إلى بصيرة نافذة قادرة على تحديد ميدان كل قيمة من هذه القيم.

فالإنسان السوي، بوجوده على أرض الواقع، تكون شخصيته حصيلة لعمل ملكاته المتعددة، مثل ملكات (التفكير، والإرادة، والإحساس).

وارتباط كل ملكة من هذه الملكات بقيمة محددة من القيم الثلاث، كاختصاص ملكة التفكير بالحقيقة، وملكة الإرادة بالخير، وملكة الإحساس بالجمال.

---

(١) مقدمة في علم الجمال، تأليف محمد سعيد حسان وخلود بدر: ص٢٢.

ولا ينكر أن ملكات الإدراك الثلاث هذه مترسخة في داخل الإنسان وتخضع بشكل أو بآخر لطبيعته وتذبذب حالته النفسية فتتراوح ما بين الشدة والضعف في صدق الإدراك والإصابة والخطأ في الحكم.

لذلك:

فإن إدراك هذه القيم وتقديرها (الحكم عليها) لابد أن يتأثر بالحالة الذاتية للإنسان بشكل أو بآخر، وعلى الأقل فإن للحالة الخاصة للشخص المدرك أكبر الأثر في إدراك ما يقابلها من قيمة.

وكما رأى (كانت): فإن الجمال لا يعدّ شيئا في حالة انفصاله عن شعورنا.

وفي قول (أفلاطون): خير دليل على ذلك حيث يشترك تعادل الرائي والمرئي أو على الأقل تناسبهما حتى يمكن رؤية الجمال)[1].

من هنا:

لابد من الرجوع إلى تعريف الجمال ومفهومه كي نقف عند هذه الأفكار والرؤى عند الفلاسفة والمفكرين.

أولاً: تعريف الجمال

لا شك في أن الحيز الذي شغله علم الجمال لدى الفلاسفة والمفكرين والفنانين أثمر عدداً من التعاريف للجمال، فكان (أول من فرق بين علم الجمال وبقية المعارف الإنسانية هو المفكر (بومغارتن) (١٧١٤ ــ ١٧٦٢)، الذي أطلق على علم الجمال لفظ (الاستطيقا Aesthetgue)، إلا أن هذا اللفظ يعود

(١) فلسفة الفن والجمال، لحامد سرمك: ص٢٩٥ ـ ٢٩٩، (بتصرف).

تاريخياً إلى عهد اليونان، عندما قصد بـه العلـم المتعلـق بالإحـساسات طبقـاً للفـظ اليوناني (اسيثزس Aisthesi)، ومجال بحثه الأشـياء الموصـوفة بالجمـال وتكـوين المعايير والأسس التي تساعد على التقدير الجمالي)(١).

فضلاً عن ذلك:

(فقد سعى (بومغارتن) إلى أن يضع منطقاً لجمال الشعور كالمنطق الـصوري الأرسطي بالنسبة للفكر.

وكانت غايته من هذا العمل هي التمييز بين ميادين الحق والخير والجمـال، إذ لكل من هذه القيم مجالها الخاص، فالكمالات المتحققة من ناحية المعرفة والـسلوك والإحساس هي الحق والخير والجمال على التوالي؛ وهذا الكمال (perfection) هو المحور الذي تدور عليه الاستطبقا بوصفها منطقا للعلاقة الحسية الغامضة)(٢).

وهنا في هذا الكتاب نحـاول تقـديم رؤيتنـا لمـا زخـرت بـه واقعـة الطـف مـن مـشاهد للكمـال الـذي تجلـى فيـه الحـق والخير والجمـال في ضـمن مـشاهد جماليـة متعددة.

ولذا وجدنا أن تتبّع التعاريف التي أطلقها الفلاسفة على الجمال يقـدم معنى أتم مما لو اقتصر الأمـر علـى رؤيـة واحـدة؛ وذلـك لاعتمـاد التعريـف علـى رؤيـة فلسفية تكونت لدى هذه الشخصية أو تلك.

فعلم الجمال لا يقتصر فقط على التفكير الفلـسفي في الفـن؛ وذلـك أن الجمـال مجاله الشعور والأحاسيس ولكن مع شرط الكمال لهذه المعرفة الذي هو الجمال بعينه.

---

(١) مقدمة في علم الجمال: ص١٤.

(٢) فلسفة الفن والجمال لحامد سرمك: ص٢٧٢.

(كما قصد إلى ذلك (كنت) في كتابه (نقد الحكم) حيث قسم علم الجمال على قسمين:

١ ـ نظرية في الجمال والجلال.

٢ ـ بحث في ماهية الفنون الجميلة.

ألف: تعريف (هربرت ريد)

ذهب كثير من المفكرين إلى اعتماد تعريف (هربرت ريد) في الجمال وعده من أهم التعريفات التي ظهرت في علم الجمال فيقول: (إن وحدة العلاقات الشكلية بين الأشياء التي تدركها حواسنا).

وقد أكد ريد على أن الإحساس بالجمال يتسم بالمتقلب عبر الزمان والمكان فما هو جميل في زمان قد يرى قبيحا في زمان آخر، كما أن الإحساس بالجمال هو القاعدة الأساسية التي يقوم عليها النشاط الفني، إذ إنّه يتصف بالغرابة في أبعاده النسبية عدا اتصافه بمغزى تاريخي محدد كانت بدايته عند اليونان حينما رأوا أن الإله يجمع بين الجمالية البشرية كاملة وأنّه المثال المتكامل السامي للإنسانية، ولقد تغير مفهوم الجمال عبر العصور حتى صار في العصر الحديث بعيداً عن الغائية والخوارق والمثاليات ومرتبطا بتحولات المجتمع والاكتشافات العلمية والتقنيات الحديثة)[1].

باء: تعريف الجمال عند فلاسفة الاغريق

اعتمد فلاسفة الاغريق في تعريف الجمال على عبارات كمية ومكانية.

فجمال الموسيقا ـ عندهم ـ انتظام في الأصوات، وجمال الفن التشكيلي ـ

---

(١) مقدمة في علم الجمال: ص١٧.

انتظام في النسب[١].

وهو ما تمت الإشارة إليه في بيان الاتجاه الموضعي الذي اعتمده فلاسفة الاغريق في تفسيرهم للجمال.

جيم: تعريف علم الجمال عند العرب

إن من الملاحظ في أدبيات العرب قديما وحاضراً استخدامهم الألفاظ الدالة على معنى الجمال وتغلغله في نفس الشخص العربي ـ مع اختلاف الزمان والمكان ـ.

في البادية أو المدينة ولعل استخدام الشعراء العرب للغزل في مقدمة قصائدهم التي تفاوتت في المقاصد بين الهجاء والمديح والرثاء وغيرها على ضرورة تتويجها بأبيات الغزل الكاشفة عن تمتع الناظم عن الحس الجمالي واستئناسه بالجمال.

(ومهما يكن من أمر فإن الجمال متميز بأنه إدراك لقيمة، وهو إدراك إيجابي ماثل أمام الشخص المدرك ويتضمن إخراجاً للفرحة الباطنية الذاتية إلى هذا الشيء الخارجي ليصفها إليه ويضفيها عليه وكأنه جزء منه.

فإدراك الجمال هو لقيمة أضفتها إلى الأشياء الواقعية من نماذجنا الروحية المثالية وأن الإدراك الجمالي يعد بداية لكل دراسة للجمال)[٢].

وهو ما نسعى إليه في هذه الدراسة حول عاشوراء، أي إدراك القيم التي زخرت بها مشاهد عاشوراء متجسدة بالكمالات التي راحت تدور حول الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وهو يخطو بين تراكمات الشر الذي

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) مقدمة في علم الجمال: ص١٦.

تجمع من حوله فيضفي بقيم الخير والحق والعدل والحرية على تلك الظلمة التي ملأت النفس الإنسانية لتصحو على ضوء الجمال وبهائه.

ثانيا: مفهوم الجمال

مثلما اختلف الفلاسفة والمفكرون في الوصول إلى تعريف ـ جامع مانع ـ حول الجمال كذاك اختلفوا في الوصول إلى مفهوم واحد.

ولذا: عرّفوا الجمال بحسب مفهومه تعريفات أُخر فكانت هي:

١ ـ العلم الذي يبحث الجمال ومقاييسه ونظرياته.

٢ ـ العلم الذي يدرس علاقات الإنسان الجمالية بالواقع ويدرس أعلى مستويات أشكال هذه العلاقات ألا وهو الفن.

٣ ـ العلم الذي يدرس القوانين العامة لتطور علاقات الإنسان الجمالية بالواقع وبخاصة في الفن كشكل متميز من أشكال الوعي الاجتماعي.

٤ ـ العلم الذي يبحث في الجمال والذوق والفنون الجميلة ويختص بتوضيح فكرة الجمال كسمة مميزة للأعمال الفنية كما يضع المبادئ السليمة التي تكمن وراء الأحكام الجمالية)[١].

أعتقد أن الجمال أعقد من أن توضع له قوانين وآليات ومناهج بلحاظ كونه مادة حاله في ذاك كبقية العلوم وتفرعاتها التي يتوصل إليها من خلال الفكر والفهم.

وذلك لكونه ـ أي الجمال ـ خليطاً من الفطرة والحس والذوق والإدراك وهي أساطين قيام النفس وبها تتحدد هوية الإنسان.

---

(١) مقدمة في علم الجمال: ص١٥.

المسألة الثانية: الاستطيقا بين المعنى والموضوع

أولا: معنى الاستطيقا

للوقوف عند معنى (الاستطيقا) فلابد من الرجوع إلى (بومغارتن) الذي أطلق على علم الجمال لفظ (الاستطيقا) وهو أيضاً الذي عين لها موضعاً داخل مجموعة العلوم الفلسفية[١].

فكانت الاستطيقا فرعاً خاصاً من الفلسفة اهتم بدراسة الحس والوجدان.

وعلى هذا عرض علم الجمال بـ(العلم المتعلق بالشعور الجمالي أو الإحساس الجمالي)، أو (علم المعرفة الحسية) أو (علم المبادئ أو الصور القابلة للإدراك الحسي)[٢].

وبناءً عليه:

فقد وجدت أن مأساة كربلاء مليئة بالصور القابلة للإدراك الحسي والمفعمة بالشعور الجمالي حتى بدت لي ــ مع ما زخرت به من المصائب والآلام ــ من أخصب البقاع نتاجاً للمشاهد الجمالية ومن أقوى المؤثرات الشعورية والإدراكية للجمال.

إلى الحد الذي شغل جمالها القاتل عن المضي في ظلام الشر فعاد بين النشوة بجمال الصورة والحيرة فيما يجد في نفسه وهو يخاطب نفسه (شغلني نور وجهه عن الفكرة في قتله).

---

(١) موجز في علم الجمال: ص١٠، نقلاً عن الأسس النفسية للابداع الفني، د. مصطفى سويف.

(٢) مقدمة في علم الجمال: ص١٤.

ولذلك:

وجدت: أن دراسة عاشوراء من المنظور الجمالي تعطي رؤية جديدة للناظر إليها وتزيل عن النفس الكدورات التي علقت بها بفعل تراكمات جور الظالمين ورين أفعال المنافقين التي أوهنت الحس الجمالي وحجبت المعرفة الحسّية بالذين كسوا الوجود جمالاً، وهم محمد وعترته أهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين.

ثانيا: موضوع الاستطيقا

إن علم الجمال أو علم المعرفة الحسية التي سمي بـ(الاستطيقا) له موضوع يدور من حوله ويبحث من ثناياه، حاله في ذاك حال جميع العلوم التي نشأت لموضوع محدد فكانت (الاستطيقا أو علم الجمال في بدء نشوئها تهتم بأشياء من قبيل المعرفة الحسية وشروطها الكمالية.

فهي نوع من المعرفة يكتسب بالإدراك الحسي؛ فالجمال هو المعرفة الحسية مجردة من أي فكرة أما القبح فهو نقص تلك المعرفة؛ وكان الأصل في هذه الممارسة هو إدراك المفاهيم وماهية الأشياء ما دام جمال الأشياء والمادة قد استبعد من هذا المجال وتم التحذير من اختلاطه بجمال المعرفة.

فالمعرفة، في الأصل عملية تجريدية لا تتعلق بالأعراض والصفات إلا بقدر معاملتها كوسائل للكشف عن الجواهر وماهيات الأشياء.

وعلى هذا، فإن علم الجمال يتوجب أن يبحث، فضلاً عن الفنون، في جمال الذات، وجمال المعنى، كما هو عند (كريستيان وولف) الذي أشار إلى قوى

عليا وقوى دنيا للمعرفة، فالقوى العليا مجال بحث علم المنطق، والقوى الدنيا فمجالها الإدراك الحسي، وجعل تقييم الإدراك الحسي الإنساني من اختصاص علم الجمال)[١].

وقد لا يخفى على المتتبع لآراء الفلاسفة الذي اهتموا بعلم الجمال اقتصارهم في رؤاهم الفكرية على الفن بكونه المادة التي يمكن أن تخضع للمعايير الحسية والإدراكية والتي تستل منها الجمالية بحسب القواعد المتناسبة عند أهل الصنعة مما يعني اقتصار الحس الجمالي ـ وبهذا اللحاظ ـ على الفنانين الذين وحدهم القادرون على تحديد مكامن الجمال في هذا العمل أو ذاك ووحدهم المجيدون لمواضع القبح ـ التي وبحسب هذه الأسس ـ تنحصر في حجم المعرفة بها.

وعليه:

فمن لا يجيد هذه القواعد والأسس الحسية لتشخيص الجمالية في العمل الفني فهو غير قادر على الإدراك بهذا الجمال، ومن ثم يبقى أولئك النفر هم المعنيون في العيش في هذه المساحة الوجدانية التي تلازمت مع حركة الإنسان في الحياة.

وعليه:

لم يزل أولئك المهتمون بالجمال في سعي دؤوب لايجاد مفهوم للجمال أو تعريف جامع مانع يجمع تلك الرؤى الفلسفية والآراء الفكرية لاسيما وأن الحس الجمالي فطري مع الإنسان فهو مجبول عليه ولولا هذه الجبلة لما سعى النحات

---

(١) فلسفة الفن والجمال: ص٢٧٤.

لحمل الشفرة والمطرقة ولما حمل الرسام اللوحة والفرشاة ولما سعى هذا الإنسان مستخدما كل ما تيسر لديه من الوسائل كي يظهر هذا الجمال الدفين فيه من خلال عمله أو فكره أو كماله الأخلاقي.

ولذلك حاول بعض من الفلاسفة إيجاد حلّ لجمع هذا الكم الهائل من الرؤى حول الجمال فوجد أن الأمر يرتكز على المعرفة ومكوناهما التي حددها الفيلسوف الألماني (ليبنيز Leibniz) (بمنطلقين لكل منهما مهمته المعرفية الخاصة).

الأول: الطريق العقلي الذي نتعرف به الحقيقة عبر ما نكتشفه من كمال في العالم.

والثاني: الطريق الحسي الذي يساعدنا على إدراك الجمال من خلال الأحاسيس والمشاعر التي نجدها في صورة ما سواء كانت مكتملة أو ناقصة)[1].

من هنا: فقد وجدت من خلال هذه الدراسة أن عاشوراء بكونها صناعة ربانية قد جمعت الطريقين اللذين يوصلان الإنسان إلى المعرفة أي الطريق العقلي والطريق الحسي.

فكانت مليئة بالصور الجمالية التي جمعت بين مكوناهما الأحاسيس والمشاعر والحق والخير فكان الناظر إليها يلمس كل هذا الجمال ويدركه عقلاً وإحساسا ويتناغم معه تناغما روحياً فيعرض على النفس الانقياد له حتى يبدو أسيراً بذاك الجمال.

---

(١) فلسفة الفن والجمال لحامد سرمك: ص٢٨١.

المسألة الثالثة: الجمال في اللغة

قال الجوهري: الجمال: الحسن؛ وقد جَمُلَ الرجل بالضم، جمالاً فهو جميل، والمرأة جميلة وجملاء أيضاً.

والجُمّال، بالضم والتشديد أجمل من الجميل.

والمجاملة: المعاملة بالجميل.

وجمّلهُ زيّنهُ؛ والتجمل: تكلف الجميل[(١)].

وقال ابن سيده: الجمال الحسن يكون في الفعل والخلق[(٢)].

---

(١) الصحاح للجواهري: ج ٤، ص ١٦٦٢ - ١٦٦٣.

(٢) لسان العرب لابن منظور: ج ١١، ص ١٢٦.

المبحث الثاني

مفردة الجمال في القرآن الكريم

جاءت مفردة الجمال في القرآن الكريم في أربعة مواضع فقط وقد عنت الآيات التي وردت فيها هذه المفردة بالشؤون الأسرية والاجتماعية والسياسية للمجتمع الإسلامي وهي كما يلي:

المسألة الأولى: مفردة في العلاقة الأسرية

يعرض القرآن الكريم الشؤون الأسرية في صورتين، الأولى تناولت الحياة الأسرية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والثانية تناولت الجانب الأسري للفرد المسلم.

الصورة الأولى: الحس الجمالي التخيير لأزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم

قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[١].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢٨.

هنا في هذه الآية المباركة نجد أن الخيار الذي قدمه القرآن لأزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدور مدار الجمال؛ إلا أن حقيقة الجمال بحسب الناظر إليها اختلفت؛ فجمال الحياة الأسرية في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائم على الكمال والكفاف والتعفف والنظر إلى حسن الآخرة.

والجمال خارج البيت النبوي قائم على النظر إلى حسن الحياة الدنيا وزينتها. فهناك في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأنس القلب بالآخرة، وهنا – خارج بيته – يأنس بالحياة الدنيا وزينتها.

ولأن الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

فقد جعل حرية الاختيار لمن لا تطيق منهنّ الصبر على الزهد والكفاف وجهد العبادة وترغب في الحياة المنعمة وتحن إلى رفاهية العيش وتنظر إلى ما في أيدي النساء من الزينة والترف.

أن تنتقل عنه صلى الله عليه وآله وسلم وتذهب إلى حال سبيلها لا ينتقص من مهرها شيء فصاحب الشريعة جل شأنه جميل يحب الجمال ولا يرضى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا الشيء الجميل.

وقد جاء في سبب نزول هذه الآية الكريمة:

«إن عائشة سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً من عرض الدنيا إما زيادة في النفقة أو غير ذلك فاعتزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نساءه شهراً»(١).

---

(١) تفسير جامع البيان للطبري: ج ٢١، ص ١٨٨.

ونقل السيوطي عن ابن سعد قال، قالت النساء لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما نساء أغلى مهوراً منا؛ فغار الله لنبيه فأمره أن يعتزلهن، فاعتزلهن تسعة وعشرين يوماً ثم أمره أن يخيرهن»[١].

وعنه أيضاً، عن الإمام الحسن عليه السلام قال:

«أمره الله أن يخيرهن بين الدنيا والآخرة، والجنة والنار»[٢].

ولقد نسب قتادة سبب نزول الآية إلى: «غيرة غارها عائشة»[٣].

وقيل، إنهن قلْنَ: «لعلك تظن إن طلقتنا لا نجد زوجاً من قومنا غيرك»[٤].

ولأجل ذلك خيرهن الله عزّ وجلّ بين المقام عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو الانتقال عنه مع حفظ حقوقهنّ المهرية[٥] وهو التسريح الجميل الذي أشارت إليه الآية المباركة وفيها ظهر جمال تقنين العلاقة الأسرية وعوامل دوامها ممثلاً في فهم الزوجة لموقع زوجها ومكانته في المجتمع وأن تتعامل معه وفق هذه المعطيات. بل وتكيف نفسها على هذا المستوى من العيش، فإن لم تتمكن فإن لها أن تنفصل عنه كي تترك مجالاً لمن تكون أهلاً لهذا المستوى والشأن الذي يتحلى به الزوج فكيف به إذا كان خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) تفسير الدر المنثور: ج ٥، ص ١٩٥.

(٢) الدر المنثور: ج ٥، ص ١٩٥، تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي: ج ٣، ص١٠٥.

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي: ص ٣٨٠. تفسير الدر المنثور: ج ٥، ص١٩٥.

(٤) الأمثل، في تفسير القرآن لناصر مكارم الشيرازي: ج ٣، ص ٢٢٧.

(٥) مجمع البيان للطبرسي: ج ٨، ص ١٥٢. بحار الأنوار للمجلسي: ج ٢٢، ص١٧٤.

الصورة الثانية

استخدام الجمال في حفظ العلاقة الزوجية

أما الخطاب القرآني للمؤمنين في حفظ الحقوق الشخصية ضمن نطاق الأسرة داخل المجتمع المسلم؛ فقد ظهر في قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾[1].

وهنا:

غاية العذوبة في صيانة العواطف والشعور الوجداني للمرأة، فهي إن لم تجمعها المؤهلات مع الزوج وقررت الانفصال، أو هو قدم على ذلك؛ فهذا لا يعني أنها تستغل وتُحبس عن غيره من الرجال، أو أن تحرم من حقوقها المهريّة؛ بل إن القرآن عيّن هذا التسريح الجميل للمرأة وجعل لهما خطاً للعودة؛ إذ لعل التعامل الجميل في انفكاكهما يجعلهما يعيدان النظر في هذا الانفصال ويعاودان الاقتران.

ومن ناحية أخرى يعكس الجانب الإنساني والرحماني للشريعة الإسلامية في حمل مواقف كهذه تكون فيها العواطف والمشاعر الإنسانية على المحك. فتحفظ عندها هذه المشاعر. وفي هذا العمل يظهر جمال التعامل الأسري في جو الخلافات التي تؤدي إلى الانفصال.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٩.

المسألة الثانية: مفردة الجمال في المعالجة الاجتماعية

وفي الجانب الاجتماعي السياسي يقدم القرآن الكريم نموذجاً عملياً في كيفية التعامل مع المستكبرين من خلال خطابه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله تعالى:

﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾(١).

فيدعوه إلى التحمل لما يبدر من الكافرين والمنافقين الذين يعيشون داخل المجتمع الإسلامي كتكذيبهم بما جاء به المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ولاسيما أمر الإمامة والخلافة لعلي أمير المؤمنين عليه السلام كما دلت عليه الأحاديث في سبب نزول الآية المباركة(٢).

بل يفيد سياق الآيات التي سبقت هذه الآية أن هناك جرأةً وتحدياً لما يدعو إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قال تعالى:

---

(١) سورة المعارج، الآية: ٥.

(٢) الكافي للشيخ الكليني رحمه الله: ج ١، ص ٤٢٢. شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي: ج ١، ص٢٤١. الطرائف لابن طاووس: ص ١٥٢. الفضائل لابن شاذان: ص٨٤. المناقب لابن شهر: ج ٢، ص١٦٧. صراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي: ج ١، ص ٣١٣. تفسير الفرات الكوفي: ص٥٠٣. الدر النظيم لابن حاتم العاملي: ص٣١٤. منهاج الصالحين للشيخ وحيد الخراساني: ج١، ص١٧٢. عيون المعجزات لحسين بن الوهاب: ص١٤. الأربعون حديثاً لمنتجب الدين ابن بابويه: ص٨٤. الصوارم المحرقة للتستري: ص٧٩. حلية الأبرار للبحراني: ج ٢، ص ١٢٤. المستدرك للحاكم النيسابوري: ج ٢، ص ٥٠٢، تحقيق المرعشلي. نظم درر السمطين للزرندي الحنفي: ص٩٣. فيض القدير للمناوي: ج ٦، ص٣٨٣. خصائص الوحي لابن البطريق: ص٩٢. تفسير القرطبي: ج ١٨، ص٢٧٩. الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ج ١، ص ٢٤٤. السيرة الحلبية: ج٣، ص ٣٣٧.

﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ﴾[1].

قال العلامة الطباطبائي: لما كان سؤال السائل للعذاب عن تعنت واستكبار وهو مما يشق تحمله، أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر ووصفه بالجميل؛ والجميل من الصبر ما ليس فيه شائبة الجزع والشكوى، وعلله بأن اليوم بما فيه من العذاب قريب[2].

فكان تعايشهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم داخل المجتمع بما فيه من ألم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ أنه كان يقابلهم بالصبر الجميل مُنْزِلاً كل ذلك في ساحة رضا الله وبعين الله تعالى.

المسألة الثالثة: مفردة الجمال في المعالجة السياسية الإصلاحية

قال تعالى:

﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾[3].

قالوا في اللغة: إن السياسة، هي القيام على الشيء بما يصلحه[4].

وهنا يرسم القرآن الكريم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم طريقاً للتعامل مع أولئك المتقولين فيأمره بالصبر والهجر الجميل.

---

(١) سورة المعارج، الآيات: (١ - ٥).

(٢) تفسير الميزان، سورة المعارج، ج ٢٠، ص ٨.

(٣) سورة المزمل، الآية ١٠.

(٤) لسان العرب لابن منظور: ج ٦، ص ١٠٨.

والهجر، هو: الترك، فيقال: هجرت الشيء هجراً، إذا تركته وغفلته؛ فيكون سياق الآية في أسلوب التعامل مع المعارضة هو «بأن تجانبهم وتدانيهم ولا تكافئهم وتكل أمرهم إلى الله»(١).

وفي المورد نفسه، أي: الجانب السياسي يوجه القرآن الكريم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى آلية التعامل مع المسيء من الرعية وبخاصة في التعزيرات المفوضة إليه كونه الحاكم والإمام.

«فإن كانت هذه التعزيرات في قبال حق الناس، فالظاهر أن العفو فيها دائر مدار عفو من له الحق.

وأما ما كانت في قبال حقوق الله تعالى فالمستفاد من إطلاق الآيات والروايات الكثيرة الواردة في العفو والإغماض، ومن سيرته صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة أمير المؤمنين عليه السلام؛ وغيرهما جواز عفو الإمام عنها إذا رآه صلاحاً ولم يوجب تجري المرتكب(٢).

فكانت هذه الآية من ضمن مجموعة من الآيات التي قد عنت بنظام قيادة الأمة. قال تعالى:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٣).

(١) بحار الأنوار: ج ٩، ص ١٦٥.

(٢) دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية للشيخ المنتظري: ص ٣٩٧.

(٣) سورة المائدة، الآية ١٣.

وقوله تعالى:

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[١].

وقوله تعالى:

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾[٢].

وقد أخرج الشيخ الكليني رحمه الله بسنده، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال:

إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتي باليهودية التي سمت الشاة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال لها: ما حملك على ما صنعت؟ فقالت: قلت؛ إن كان نبيا لم يضره، وإن كان ملكا أرحت الناس منه.

قال: فعفا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنها[٣].

وفي هذا المجال يقدم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم درساً لمن يتولى من السياسيين القيادة مناصبَ سيادية وإدارية في آلية التعامل مع الناس. بل يقدم صلى الله عليه وآله وسلم نموذجاً فريداً في سعة عفوه وتسامحه مع المسيء. وفي هذا «دلالة على وجوب الصبر على الأذى لمن يدعو إلى الدين والمعاشرة بأحسن الأخلاق واستعمال الرفق ليكونوا أقرب للإجابة»[٤].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٩٦.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ١٠٨، كتاب الإيمان والكفر، باب العفو، الحديث ٩.

(٤) مجمع البيان للطبرسي: ج ١٠، ص ٣٨٠.

المبحث الثالث

جمال العترة النبوية عليهم السلام

في هذا المبحث سنتناول الجمال بشقيه العقلي والحسي كما يسميه إلى المعرفة بجمال العترة النبوية الذين جمعتهم أحداث كربلاء ورزية عاشوراء ليبيز كطريقين للوصول. فنبدأ أولاً بجمال وجوه أهل الكساء عليهم السلام ثم نورد عدداً من الأحاديث الشريفة التي وردت فيها مفردة الجمال وحددت مواضع وجوده في الأشياء، كي يتكون لدى القارئ الكريم صورة عن الجمال كمفهوم وكحس وجداني يأنس به قلب الإنسان وتتوق إليه نفسه.

والحديث عن جمال أهل البيت عليهم السلام حديث ترحل فيه النفس إلى حضيرة القدس لتنهل من ينابيع النور والطهر والصفاء شراباً مزاجه كان كفوراً.

حديث تنال فيه الروح نشوتها، والنفس سكنها، والعين غمضها بجفون أرخاها سحر المنظر فانحنت تضمه بين حدقتيها وتلفه برمشيها لتغفو معه على بساط القلب.

هكذا هو الحديث عن جمال العترة النبوية عليهم السلام. فهم جمال الله وصدوره إلى الخلق أجمعين.

بل بهم ظهر جمال الجميل تعالى شأنه؛ وبحسبهم لا بحسبه. أي: عندما أراد الله تعالى أن يُعرّف الخلق على صفاته، جعل لها شخوصاً اصطفاهم واجتباهم من خلقه؛ وهم الأنبياء والمرسلون والأئمة المعصومون عليهم السلام. فأكساهم بأدبه وخُلقه ليكونوا أدلاءَ على جماله وكماله.

فمن أراد أن يدرك الرحمة الإلهية فإنه يراها متجسدةً فيمن بعث رحمةً للعالمين. ومن أراد أن يشاهد النور الإلهي الذي يهتدى به إلى الله، فلينظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولقد أورد القرآن الكريم عدداً من الآيات تبين تلك الصفات والخصائص الجمالية والكمالية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل قد جاء بعضها مشتملاً على عدد من الصفات في موضع واحد من آيات الذكر الحكيم، كقوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾[1].

فقد جمعت هذه الآية المباركة لعدد من الخصائص والصفات الخاصة به صلى الله عليه وآله وسلم والتي لم تجمع لغيره من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام وهذه الصفات هي «النبوة، والرسالة، والشهادة، والبشارة، والنذارة، والدعوة إلى الله، والسراج المنير».

ولذا فقد جعل الله تعالى في شخوصهم الطاهرة عليهم السلام كل مكونات الجمال الخلقية والخُلقية. ليكونوا الباب المؤتى منه إلى الله تعالى. وجمعت في

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٥ – ٤٦.

أعدائهم جميع مكونات الجهل والرذائل من الصفات كي يفرق العقلاء بين تلك الصورتين المتضادتين من الجمال والقبح.

ومن هنا:

لو أردنا أن نتحدث عن جمال العترة النبوية عليهم السلام لخرج الكتاب عن عنوانه لأن هذا يستلزم تتبع جميع الصفات الخلقية والخُلقية لهم عليهم السلام وهذا ما لا يستوعبه كتاب.

ولكن هذا لا يعني أن نهمل الصورة التي يستطيع من خلالها القارئ الكريم أن يتعرف على بعض ملامح الجمال عند العترة الطاهرة عليهم السلام كي يتوصل من خلالها إلى مشاهدة الجمال في يوم عاشوراء.

المسألة الأولى: جمال وجوه آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم

يحدثنا التأريخ عن صورتين لجمال العترة المحمدية عليهم السلام، صورة تحدثت عن الجمال العام لتلك البدور الساطعة مجتمعة؛ وصورة تحدثنا عن الجمال الخاص لهم كأفراد؛ ولنأخذ بعض الشواهد.

الصورة الأولى: الجمال العام لتلك الوجوه

من الحوادث التاريخية التي يمكن لنا أن نأخذ منها صورة عن جمال وجوه العترة عليهم السلام وتحديداً أصحاب الكساء. هي حادثة المباهلة، هذه الحادثة التي تناولها القرآن الكريم في محكم آياته وتناقلها عنه حفاظ المسلمين ورواتهم ودونوها في مصنفاتهم بطرق عديدة.

قال تعالى:

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝٦٠ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[1].

قال الفخر الرازي في تفسيره لهذه الآية: «روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم لما أورد الدلائل على نصارى نجران ثم أنهم أصروا على جهلهم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

إن الله أمرني إن لم تقبلوا الحجة أن أباهلكم.

فقالوا: يا أبا القاسم، بل نرجع فننظر في أمرنا ثم نأتيك.

فلما رجعوا قالوا للعاقب: وكان ذا رأيهم، يا عبد المسيح ما ترى؟ فقال: والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمداً نبي مرسل، ولقد جاءكم بالكلام الحق في أمر صاحبكم، والله ما باهل قوم نبياً قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولأن فعلتم لكان الاستئصال فإن أبيتم إلا الإصرار على دينكم والإقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج وعليه مرط أسود، وكان قد احتضن الحسين، وأخذ بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعلي – عليه السلام – يمشي خلفها، وهو يقول – أي: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم–

---

(١) سورة آل عمران، الآيات: ٥٩ – ٦١.

إذا دعوت فأمّنوا.

فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى، إني لأرى **وجوها** لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه **لأزاله بها** فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة(١).

والمتأمل في هذه الحادثة وتفاصيلها يجدها تلقي عليه أسئلةً كثيرة. وهي كما يلي:

أ - أي جمال أبصرته عيون الأسقف النصراني ليعرض عن مباهلة رسول الله وأهل بيته عليهم السلام ولم تره قلوب بعض المسلمين؟!.

ب - وأي وجوه هذه التي اكتست كل هذا البهاء والنضارة والحسن والجمال والتي لو سألت الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها؟!.

ج - أوَ أراد الأسقف أن يخبر النصارى أن لهذه الوجوه تجليات من النور تجعل الجبل دكّاً أم أن لهذه الوجوه عند الله تعالى حرمةً تتغير لها السنن والقوانين الكونية؟.

---

(١) اشتهرت حادثة المباهلة عند جميع حفاظ المسلمين من الخاصة والعامة، فمنهم من أسهب فيها ومنهم من اختصر إلا أنها ملأت مصنفاتهم، فراجع قول الأسقف النصراني في: الطرائف للعلامة السيد ابن طاووس رحمه الله: ص ٤٢. العمدة لابن البطريق: ص ١٨٩. إقبال الأعمال: ج٢، ص ٣٥٠. البحار للمجلسي: ج ٢١، ص٢٧٧. تحفة الاحوذي للمباركفوري: ج ٨، ص ٢٧٩. تاريخ الأحاديث والآثار للزيلعي: ج ١، ص ١٨٦. تفسير الكشاف للزمخشري: ج ١، ص ٤٣٤. تفسير الثعلبي: ج٣، ص ٨٥. تفسير البغوي: ج ١، ص٣٦٠. تفسير النسفي: ج ١، ص ١٥٨. تفسير الفخر الرازي: ج ٨، ص٨٥. تفسير البيضاوي ج ٢، ص ٤٧. تفسير الآلوسي: ج ٣، ص١٨٩. تفسير أبي السعود: ج ٢، ص٤٦. مطالب السؤول لابن طلحة: ص ٣٩ تحقيق ماجد العطية.

ربما هي حقائق قبل أن تكون أسئلة كتمها الأسقف عن قومه خوفاً من أن يتهم بالغلو أو أن يتفرق عنه قومه.

وعليه:

فهذه الحادثة قد كشفت عن حقائق عديدة منها ما يتعلق بأمر النبوة ومنها ما يتعلق بأهل البيت عليهم السلام وهي كالتالي:

الأولى: جمال هذه الوجوه وحسنها.

الثانية: الوجاه التي لهم عند الله عز وجل. وقد رأى الأسقف هذه الوجاهة والبهاء والعزة والصدق في هذه الوجوه.

وهي حقيقة دلت عليها بعض الأدعية كدعاء التوسل برسول الله وعترته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين(١).

بقي أن نقول: إن الأسقف قد رأى وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل خروجه للمباهلة، ورأى أيضاً وجه أمير المؤمنين عليه السلام لأنه لا يفارق النبي إلاّ نادراً فبقي الحسن والحسين وأمهما التي يخط جلبابها خلفها فلا يرى منها شيء.

إذن: الشيء الجديد الذي رآه هو وجه الحسن والحسين عليهما السلام ورأى شدة شبههما بجدهما صلى الله عليه وآله وسلم واجتماع أنوارهم فعرف أنها وجوه لا يرد لها دعاء.

---

(١) قال العلامة المجلسي رحمه الله هذا الدعاء رواه محمد بن بابويه رحمه الله وقال: ما دعوت في أمرٍ إلاّ رأيت سرعة الإجابة، وهو: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك، نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، يا أبا القاسم يا رسول الله يا سيدنا ومولانا إنا توجهنا واستشفعنا وتوسلنا بك إلى الله، وقدمناك بين يدي حاجتنا يا وجيها عند الله اشفع لنا عند الله. الخ الدعاء». (البحار: ج٩٩، ص ٢٤٧، مفاتيح الجنان: ١٥٤).

الصورة الثانية: الجمال الخاص لتلك الوجوه عليهم السلام

أولاً: صفة جمال علي عليه السلام

من المفروض أن نبدأ بذكر جمال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن سنؤجل البحث فيه إلى (المنظر الخاص بجمال عاشوراء).

ولذا، سنتحدث عن جمال أمير المؤمنين علي عليه السلام. إلا أن الحديث عن جمال علي عليه السلام يحتاج إلى مقدمة.

وهي: أن أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم قد عملوا على التصدي والوقوف بالمرصاد لكل منقبة أو فضيلة رويت أو دونت في حق أمير المؤمنين علي عليه السلام؛ ناسين أو متناسين أن الله يأبى إلاّ أن يتم نوره ولو كره المشركون. فقاموا بنسج أحاديث هي أوهن من بيت العنكبوت حول هذه المناقب، ظانين أنها تحجب الناظرين، أو تحجز المؤمنين عن التمسك بها وبيانها للناس.

ومن هذه الحقائق الناصعة التي تعرضت لألسنة المخالفين وأقلامهم، هي حقيقة جمال أمير المؤمنين علي عليه السلام؛ إذ حاولوا تضليل بعض الصفات الجمالية على القارئ فحملوا اللفظ إلى غير معناه المقصود.

فمثلا: ورد في وصفه أنه عليه السلام: «الأنزع البطين» فجعلوا اللفظ في قالب يخلو من المعنى الجمالي ليوهموا السامع أنه عليه السلام غير جميل في حين أن أصل الحديث قد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الشكل الذي يكشف عن مناقبه وإيمانه وتقواه.

قال زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا علي، إن الله قد غفر لك ولذريتك ولشيعتك ولمحبي شيعتك فابشر فإنك الأنزع البطين، منزوع من الشرك مبطون من العلم»[١].

أما ما ورد عن بعض المصادر الرجالية في وصفه عليه السلام بأنه (أقرب إلى القصر، وأصلع، وعظيم البطن) فهو محمول - على فرض صحته - على خصوصية غيبيّة اقتضتها حكمة الله من جمع كل ما هو خارج عن قدرات الرجال في علي عليه السلام.

بمعنى آخر: اقتضى تكوين جسم الإنسان بايلوجياً إن يخضع لضوابط وقوانين ومتطلبات فرضتها أجهزة الجسم وخلاياه فهو يسير ضمن تلك الضوابط والمتطلبات ، يشرب الماء عند الإحساس بالعطش، ويأكل عند الشعور بالجوع، وينام خلال اليوم، ثماني أو ست ساعات فإذا أخل بأحد هذه المتطلبات فإن الجسم يتعرض إلى الوهن والإرهاق، ونفس الحال يتكرر إذا كان هناك إفراط في هذه الاحتياجات التي تؤدي إلى الكسل والخمول والسمنة والعجز وكثير من الأمراض.

ولذا.. ترى لعلي أمير المؤمنين عليه السلام: بطنه مع كثرة سهره، وطول تهجده، ودوام صومه، ومواصلة جهاده، وقلة طعامه وشرابه، ولبسه الخشن، مع ما تفرضه عليه حقوق العامة وأمر الأمة وشؤون الرعية، والشؤون الخاصة كالحقوق الزوجية والاهتمام بأمور العيال، وكثير من الجهد الذي لا نعلمه أو ندركه، ومع هذا كله يكون مبطاناً! فهذا ما لا يمكن توفره إلا عند من اختارهم الله تعالى واصطفاهم لشرعه. فجمع فيهم الأضداد من المحاسن وخصهم

---

(١) الأمالي للشيخ الطوسي: ص ٢٩٣. مسند زيد بن علي عليه السلام: ص ٤٥٦. المغازي للواقدي: ص١٥٧. البحار: ج ٢٧، ص ٢٧. المناقب للخوارزمي: ص ٢٩٤. ينابيع المودة: ج ٢، ص ٣٥٧.

بالكمالات الروحية والنفسية والجسدية.

ولذا؛ ترى في علي عليه السلام رقة القلب وغزارة الدمع مع شدة البأس! وترى فيه الصبر على استصراخ فاطمة عليها السلام مع الغيرة والإباء! والجود لكل محتاج معيل مع وضع الجمر في يد أخيه عقيل!.

والاكتفاء من الدنيا بقرصين من الشعير مع بطنة تلفت الناظر البصير! وغيرها من الأضداد لكثير.. الكثير.

أما لماذا يتمسك بها المخالفون لعلي عليه السلام دون غيرها من الصفات؟!.

فلأن إمامهم معاوية بن أبي سفيان كان قد لحقه دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالابتلاء بالبطنة وفرار الشبع فهو في سباق مع الأطعمة يلاحقها في ساعات الليل والنهار فلا يدركها، وتتبعه في كل آنٍ دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«اللهم لا تشبع بطنه»[(١)].

فكان معاوية يأكل ويقول: «ما شبعت ولكن عييت»[(٢)].

وفي رواية «ما شبعت ولكن مللت وتعبت»![(٣)].

---

(١) الاحتجاج للطبرسي رحمه الله: ج ١، ص ٤٠٨. بحار الأنوار للمجلسي رحمه الله: ج ٤٤، ص ٧٧. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٤، ص٥٥. تهذيب الكمال للمزي: ج ١، ص ٣٣٨. تذكرة الحفاظ للذهبي: ج ٢، ص ٦٩٩. تهذيب التهذيب لابن حجر: ج١ ، ص ٣٣. تاريخ الإسلام للذهبي: ج٢٣، ص ١٠٧. الوافي بالوفيات للصفدي: ج٦، ص ٢٥٧.

(٢) اللمعة الدمشقية للشهيد الثاني رحمه الله: ج ٧، ص ٣٦٦.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج ٤، ص ٥٥. النصائح الكافية لابن عقيل: ص٢٠٢.

فلهذا ترى مواليه ومحبيه وأشياعه يتمسكون بصفة «الأنزع البطين»!. فكان من هوان الدنيا على الله أن يكون (البطين) من كثرة الأكل حتى الكلل موصوفاً بالمعنى الذي تحمله صفة (البطين من العلم) الذي فتح له منه ألف باب من كل باب ألف باب[1].

ومن بعد هذه المقدمة لم يبق إلا أن يطلع القارئ الكريم على الصورة الحقيقية لجمال أمير المؤمنين عليه السلام والذي نستطيع تأمله من خلال روايتين.

الرواية الأولى

أوردها العلامة المجلسي والطبري، وابن عبد البر واللفظ له قائلاً: «وأحسن ما رأيت في صفته ـ عليه السلام ـ: أنه كان ربعة من الرجال إلى القصر، هو ادعج[2] العينين، حسن الوجه كأنه القمر ليلة البدر حسنا، ضخم البطن، عريض المنكبين[3]، شثن الكفين[4]، أغيد[5]، كأن عنقه إبريق فضة، أصلع ليس في رأسه شعر إلا من خلفه، كبير اللحية، لمنكبه مشاش كمشاش السبع الضاري لا يتبين عضده من ساعده قد أدمجت إدماجاً، إذا مشى تكفأ، وإذا أمسك بذراع رجل أمسك بنفسه فلم يستطع أن يتنفس. وهو إلى السمن؛ ما هو شديد الساعد واليد؛

---

(١) رسائل المرتضى: ج١، ص٣١٧. الخلاف للشيخ الطوسي: ج ١ ص ٥٣٩. المعتبر للمحقق الحلي: ج ٢، ص ٢٥، مؤسسة سيد الشهداء. المناقب لابن شهر: ج ١، ص ٣١٥. أعلام الورى للطبرسي: ج ١، ص٢٦٧.

(٢) أدعج: الدعج شدة سواد العين مع سعتها. (الصحاح للجوهري: ج ١، ص٣١٤).

(٣) المنكب: مجمع عظم الكتف والعضد، الصحاح: ١ / ٢٢٨.

(٤) شثن الكفين: أي خشنت وغلظت، الصحاح: ٥ / ٢١٤٧.

(٥) الأغيد: مائل العنق.

إذا مشى للحرب هرول. ثبت الجنان، قوي شجاع منصور على من لاقاه»[١].

الرواية الثانية

فقد جاءت على لسان سيد الخلق أجمعين صلى الله عليه وآله وسلم.

وهنا، الناظر البصير، والواصف الفصيح، فهو أفصح من نطق بالضاد، وهو مجمع المحاسن فإذا نظر لم يكن نظره مقيداً بزمانٍ أو مكان.. بل ينظر إلى كل جمال صوّره وبرأه الله تعالى.

ولذا.. لو كان هناك جمال في الأرض أجمل من جمال يوسف لدل عليه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم. في وصفه ولقاد الأحداق لرؤيته والخيال لرسمه.

ولكنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يجد ما يدل القلوب إلى ما هو أجمل من جمال يوسف غير جمال علي أمير المؤمنين عليه السلام.

ولذا خاطب الناس، وقد نظر ذات يوم إلى علي – عليه السلام – قال:

«من أحب أن ينظر إلى يوسف في جماله وإلى إبراهيم في سخائه، وإلى سليمان في بهجته، وإلى داود في قوته فلينظر إلى هذا»[٢].

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر: ج ٧، ص ٢٩٧. تهذيب الكمال للمزي: ٢٠، ص ٤٨٩. البحار للمجلسي: ج ٣٥، ص ٥. ذخائر العقبى للطبري: ص ٥٧. الفصول المهمة لابن الصباغ: ج ١، ص٥٩٨. جواهر المطالب لابن الدمشقي: ص ٣٦. مستدرك سفينة البحار: ص ٥٥. وقعة صفين: ٢٣٣. كشف الغمة للأربلي: ج ١، ص ٨٢. شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج ١٧٨.

(٢) راجع حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيان جمال علي عليه السلام: الأمالي للشيخ الصدوق رحمه الله: ص ٧٥٧. مناقب آل أبي طالب لابن شهر: ج ٣، ص ٥٧. البحار للمجلسي: ج٣٩، ←

وللحديث بريق خطف أبصار المخالفين!! ونفخ أوداج المعاندين!! كيف يكون لعلي أمير المؤمنين هذا الجمال والسخاء والبهجة والقوة؟!.

وهم كلما نظروا إلى المرآة أو إلى أئمتهم رأوا القبح، والشح، والعبوسة، والوهن. فمن يميل إليهم؟ ومن يلحق بركبهم غير الذي على شاكلتهم كالدبيبة السوداء شغلها شقوق الجدران وبقايا عفن الديدان.

فظنوا أن العيون لا يبهرها بريق شعاع الشمس الساقط على صفحات وجه الصباح فأرادوا حجب العيون بشبهة نفخوا فيها أبواق التضليل موهمين أنفسهم بأن الزمان والمكان محجور عليه بقيود هذا الزيف.

كـ«ابن الجوزي» لما مرّ عليه هذا الحديث رد قائلاً: «لئن كنا اسهبنا بعض الشيء في إيراد نمط من مزاج الوضاعين وإسرافهم المقبوح في الأمراء والمديح، فإننا لم نعرج على ما وضعوه من أحاديث هي الشرك الصراح، والكفر البواح، والفتنة العمياء، بتأليه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأرضاه.

فيما أوردنا عينة مما رموا به إلى إشراك علي رضي الله عنه في النبوة فحسب بحيث لا يقل نصيبه منها عن الشطر كاملاً، بل لقد وشت بهم شياطينهم فوضعوا أحاديث جعلوا لعلي رضي الله عنه فيها الشطر الأفضل والنبي تابع له وحاشاه.

قالوا: عن البراء، قال رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم: علي مني بمنزلة رأسي من جسدي؛ خرجه الملاء. فماذا ابقوا للنبي صلى الله عليه – وآله – وسلم من الفضل مع علي رضي الله عنه؟

ص ٣٥. ينابيع المودة للقندوزي: ج ٢، ص ١٨٣. ذخائر العقبى للطبري: ص ٩٤. بناء المقالة الفاطمية لابن طاووس: ص ١٧٠.

لقد جعلوا النظر إلى وجه علي عبادة[1]»... الخ.

وللرد على هذا الرأي، نقول:

١ - اعتاد أهل القبح الفكري اختيار الرواية التي يكون أحد طرقها مقدوحاً فيه عندهم وحملها كقميص عثمان يطالبون فيها الدفاع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو منهم لبراء ولفعلهم لماقت.

في حين لو أنصفوا أنفسهم والمسلمين لنقلوا الرواية بطرقها الصحيحة.

٢ - ما علاقة الشبه بين جمال علي وجمال يوسف عليهما السلام بالشرك؟! إلا اللهم أن يرى ابن الجوزي أن عملية نقل الصفات التي تقوم بها الجينات الوراثية من إبراهيم ويوسف وسليمان وداود عليهم السلام إلى ابن عم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم هو شرك اقترفته الجينات!؟ لكنه معذور فلم يكن يدري أن الزمن والحقائق العلمية لتمحو كثيراً من الجهل. أو أنه لم يكن يرى غير زمانه، ولم يخرج من شرنقة أفكاره فاعتقد أن شباهة الأبناء بالأجداد هو ضرب من الشرك بل لم يلحظ يوماً قط ان علياً عليه السلام من آل إبراهيم وهو امتداد طبيعي لأولئك الأنبياء عليهم السلام. ولم يقرأ قوله تعالى:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2].

(١) الموضوعات لابن الجوزي: ج ١، ص ١٧؛ تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٨٤.

٣ - ما كان لفصاحة هارون أن تضر موسى بشيء؟ ولم يكن إشراكه في أمره انتقاصاً له من شأنه وذهاب فضله؟! ولو قرأ ابن الجوزي كتاب الله وتدبر آياته لعلم أن قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴾[1].

وقوله عز وجل:

﴿ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾[2].

هو الحق من ربه وهو الذي يختص برحمته من يشاء ويمن بفضله على من يشاء وهو الذي جعل علياً للمصطفى أخاً ووزيراً، ولعلم ما هو الفضل الذي بقي للنبي مع علي عليهما السلام.

فدع النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع ابن عمه فهو أدرى بشأنه وفضله كما درى موسى بفصاحة هارون، وانظر إلى من تأثم به كيف آذى النبي صلى الله عليه وآله وسلم. ودع المسلمين ينظرون إلى المساجد والمصاحف وبيت الله الحرام والمسجد النبوي والى وجه علي. دع العباد لبارئها فإليه إيابهم وعليه حسابهم.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[3].

بقي أن نقول: إنّ الأثر إذا مرّ بالعقول حمل من فكرها إما جميلاً حسناً أو قبيحاً عفناً، كالريح حاملة طيباً إذا مرت به ونتناً إذا مرت بمواضع النتن.

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٥.

(٢) سورة القصص، الآية: ٣٤.

(٣) سورة القلم، الآية: ٧.

ثانياً: صفة جمال فاطمة عليها السلام

من العسير جداً الإحاطة بجمال بضعة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم للأسباب التالية:

١ - لشدة عفافها وتحصنها فهي سيدة المخدرات من الأولين والآخرين، حتى ورد عنها أنها كانت تحجب الأعمى من الدخول عليها.

فقد روي عن الإمام جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين عليهم السلام، عن أبيه:

«إن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أستأذن عليها أعمى فحجبته، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لم حجبته وهو لا يراك؟ فقالت: يا رسول الله، إن لم يكن يراني فأنا أراه وهو يشم الريح. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أشهد أنك بضعة مني»[1].

٢ - لكونها خلقت من ثمار الجنة فهي كما وصفها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«فاطمة حوراء إنسية فكلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة»[2].

---

(١) مستدرك الوسائل: ج ١٤، ص ٢٨٩. النوادر للراوندي: ص ١١٩. دعائم الإسلام للمغربي: ج ٢، ص٢١٤. البحار: ج ٤٣، ص٩١. جامع أحاديث الشيعة للبروجردي: ج ٢٠، ٢٩٩. درر الأخبار للحجازي: ص ٣٠٤.

(٢) الأمالي للصدوق رحمه الله: ص ٥٤٦. مناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي: ص ١٩١. الاحتجاج للطبرسي: ج ٢، ص ١٩١. المناقب لابن شهر: ج ٣، ص ١١٤. معاني الأخبار للصدوق: ص ٣٩٦. كشف الغمة للاربلي: ج ٢، ص ٨٧.

ومن كانت بهذه الرتبة فلا تصفها الألسن.

٣ - من السنن والقوانين العرفيّة التي عليها سادات الناس وأهل الفضل والشرف أن تلازم الجلالة والتحفظ حرمهم من النساء «سواء أكانوا أمهات أم أخوات أم بنات أم أزواجاً».

فكيف إذا كان الأمر متعلقاً بحرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ وبضعته سيدة نساء العالمين وهذا يلزم أن لا تفوقها أو تسبقها إلى المكارم والفضائل امرأة من بيوتات الأنبياء عليهم السلام.

ولذا روي عنها قولها: خير للمرأة أن لا يراها الرجل وأن لا ترى الرجل[1].

إلا أن المؤمن والمؤمنة يمكن لهما أن ينظرا بعين القلب إلى صفة جمال فاطمة عليها السلام من خلال الروايتين التاليتين.

الرواية الأولى: عن ابن عمارة، عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام لم سميت الزهراء؟ فقال:

«لأنها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما تزهر نور الكواكب لأهل الأرض»[2].

والرواية الثانية: عن عائشة زوج النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قالت: كنا نغزل في الليلة الظلماء بنور وجه فاطمة عليها السلام[3].

---

(١) مستدرك الوسائل: ج ١٤، ص ١٨٣. المناقب لابن شهر آشوب: ج ٣، ص١١٩. بحار الأنوار: ج٤٣، ص٨٤. مجمع الزوائد للهيثمي: ج٤، ص٢٥٥.

(٢) علل الشرائع للصدوق رحمه الله: ج ١، ص ١٨٠.

(٣) أخبار الدول للقرماني: ج ٢، ص ٢٠١.

ثالثاً: صفة جمال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

ذكر الرواة صفة جمال الإمام الحسن عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلفظين، الأول كان يرجع فيه إلى شبهه عليه السلام بجده النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم؛ فكان يشبهه ما بين الصدر إلى الرأس[١].

والثاني: كان يرجع فيه إلى صفة جماله الخاصة عليه السلام. فقالوا فيه: كان الحسن عليه السلام أبيض مشربا بالحمرة، أدعج[٢] العينين، سهل الخدين، دقيق المسربة[٣]، كث اللحية[٤]، ذا وفرة[٥]، كأن عنقه إبريق فضة، عظيم الكراديس[٦]، بعيداً ما بين المنكبين[٧]، ربعة ليس بالطويل، ولا بالقصير، من أحسن الناس وجهاً، وكان يخضب بالسواد، وكان جعد[٨] الشعر، حسن البدن[٩].

---

(١) البحار للمجلسي: ج ٤٤، ص ١٣٧. كشف الغمة: ج ٢، ص ١٤٨. الذرية الطاهرة للدولابي: ص ١٠٤.

(٢) الدعج: شدة سواد العين مع سعتها. (الصحاح ٢ / ١٤٨).

(٣) المسربة: شعرات تنبت في وسط الصدر إلى أصل السرة كقضيب. (كتاب العين للفراهيدي: ٧ / ٢٤٩).

(٤) الكث، والأكث: نعت للكبير اللحية، ومصدره الكثوثة والكثث. (كتاب العين: ج٥، ص ٢٧٦).

(٥) الوفرة: الشعر المجتمع على الرأس، وقيل ما سال على الأذنين من الشعر، والجمع وفارٌ. (لسان العرب: ج ٥، ص ٢٨٨).

(٦) الكراديس: رؤوس العظام، واحدها كردوس، وكل عظمين التقيا في مفصل، فهو كردوس نحو المنكبين والركبتين والوركين.

(٧) المنكب: من الإنسان وغيره: مجتمع رأس الكتف والعضد. (لسان العرب: ج١، ص٧٧١).

(٨) الجعد من الشعر، غير السبط لأن سبوطة الشعر هي الغالبة على شعور العجم والروم والفرس، وجعودة الشعر، هي الغالبة على شعور العرب. (لسان العرب: ٣/ ١٢٢).

(٩) كشف الغمة: ج ٢، ص ١٤٨. الذرية الطاهرة للدولابي: ص١٢٠. ذخائر العقبى: ٦٢. البحار: ج ٤٣، ص ٣٠٣. الدر النظيم لابن حاتم: ص ٥١٥.

رابعاً: صفة جمال الإمام الحسين الشهيد عليه السلام

تناول الرواة صفة جمال الإمام الحسين عليه السلام من عدة جوانب فمنهم من أشار إلى صفة جمال الجسم واللون،ومنهم من أشار إلى نور وجهه، بينما ركز القسم الأكبر منهم على التشابه بين الإمام الحسين عليه السلام وجده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وعليه: يمكن أن يرى القارئ الكريم صفة جمال سيد الشهداء عليه السلام من خلال الروايات التالية.

١ - أنه كان أشبه أهل البيت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وإن كانت هذه الرواية لتدمي القلب وتجري الدمع إلا أنها تنقل للمؤمن هذا الجمال الحسيني.

فقد أخرج الترمذي في صحيحه، عن أنس بن مالك قال: «كنت عند ابن زياد فجيء برأس الحسين، فجعل يقول[1]: بقضيب في أنفه!!! ويقول: ما رأيت مثل هذا حسناً لم يذكر!!؟.

قال: قلت أما إنه كان من أشبههم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وأعقبه الترمذي بقوله: هذا حديث حسن صحيح غريب»[2].

---

(١) هكذا وردت في المصادر ولعلها حرفت من (ينكت) بقضيب في أنفه إلى (فجعل يقول) كي لا يلتفت القارئ إلى قبح فعل ابن زياد. وما صنعه برأس سيد شباب أهل الجنة عليه السلام.

(٢) سنن الترمذي: ج ٥، ص ٣٢٥ برقم ٣٨٦٧. المناقب لابن شهر: ج ٣، ص٢٣٠. العمدة لابن البطريق: ص٣٩٧. البحار للمجلسي: ج٤٤، ص ١٩٤. مسند احمد بن حنبل: ج ٣، ص ٢٦١. مسند أنس بن مالك، صحيح البخاري: ج ٤، ص ٢١٦. باب مناقب المهاجرين وفضلهم. مسند أبي يعلى: ج ٥، ص٢٢٨. عمدة القاري: ج ١٦، ص ٢٤٠.

ولا أدري ما هو الشيء الغريب عند الترمذي! أفعل ابن زياد، أم جمال الحسين عليه السلام الذي طغى على القوانين والسنن الطبيعية!؟ فلم تفقده كثرة الجراحات وتخضيبه بالدماء وتعرضه لأشعة الشمس وغبار الرياح وغيرها مما حوته المعركة جماله وحسنه.

لكن الأمر الغريب حقاً هو أن يرى عبيد الله بن زياد ذلك الحسن والجمال ويشغله عن النظر إلى آثار الدماء، بل إنه ليعجب من هذا الحسن الذي لم ير مثله من قبل. والأغرب من هذا أن تحتمل زينب عليها السلام فراق هذا الجمال!.

٢ - صفة جمال جسده ولونه عليه السلام

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال:

«من سره أن ينظر إلى أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بين وجهه إلى عنقه فلينظر إلى الحسن بن علي، ومن سره أن ينظر إلى أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بين عنقه إلى كعبه خلقاً ولوناً فلينظر إلى الحسين بن علي»[(١)].

ب - وعن الزبير بن بكار قال: وكان جسد الحسين عليه السلام يشبه جسد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[(٢)].

---

(١) المعجم الكبير للطبراني: ج ٣، ص ٩٥، ح ٢٧٦٨. نظم درر السمطين الزرندي الحنفي: ص١٩٤. كنز العمال للمتقي الهندي: ج ١٣، ص ٦٥٩، ح ٣٧٦٧٣. معارج الوصول إلى معرفة آل الرسول للزرندي الشافعي: ص ٨٦.

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي: ج ٩، ص ١٨٥. شرح إحقاق الحق: ج ٢٧، ص ٣١.

ج – وعن أنس بن مالك: «ولم يكن أحد أشبه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم من الحسين بن علي عليها السلام»[1].

٣ – لم يكن أحدٌ قط أحسن ولا املأ للعين من الحسين عليه السلام

من بين الرجال الذين قصدهم الإمام الحسين عليه السلام وعرض عليه أن يخرج لنصرته هو عبيد الله بن الحر الجعفي ولكنه لم يستجب لدعوة الإمام وتخلف عن الركب الذي توجه إلى كربلاء؛ فلما قتل الإمام الحسين عليه السلام ندم على ترك نصرته ندماً شديداً.

فكان يحدث الناس بهذا اللقاء الذي تم بينه وبين الإمام الحسين عليه السلام، ويصف لهم جماله وحاله قائلاً: ما رأيت أحداً أحسن ولا املأ للعين من الحسين، ولا رققت على أحد قط رقتي عليه حين رأيته يمشي والصبيان حوله[2].

٤ - أنه كان يهتدى إليه في المكان المظلم ببياض جبينه ونحره

ذكر ابن شهر آشوب: أن الإمام الحسين عليه السلام كان يقعد في المكان المظلم فيهتدى إليه ببياض جبينه ونحره[3].

والظاهر: أن المراد بالبياض هو النور. إذ لا يتناسب أن يكون جبين الإمام ونحره أبيض ووجهه أسمر! لأن الرواية خصت الجبين والعنق بالبياض هذا من ناحية.

---

(١) مقدمة فتح الباري لابن حجر: ص ٤٧٥، إحياء التراث العربي.

(٢) خزانة الأدب البغدادي: ج ٢، ص ١٣٩. الدر النظيم لابن حاتم العاملي: ص ٥٤٩. أبصار العين للسماوي: ص ١٥٢. شرح إحقاق الحق للمرعشي: ج ٢٧، ص ٣١.

(٣) المناقب لابن شهر: ج ٣، ص ٢٣٠. منهاج الصالحين لآية الله العظمى الشيخ وحيد الخراساني: ج ٤، ص ٤٦. بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ١٨٧. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام للبحراني: ص٣٠.

ومن ناحية أخرى فإن الضوء في الحالات الطبيعية هو الكاشف للألوان ومن خلاله يستطيع الإنسان التميز ويستدل على حقائق الأشياء.

وعليه: فإن الرواية تدل على أن هذا البياض الموجود في جبين الإمام الحسين عليه السلام وعنقه إنما هو عبارة عن نور لونه أبيض وإن الناظر في المكان المظلم ليهتدي إلى الإمام الحسين بواسطة هذا النور الذي ينبعث من جبينه ونحره؛ ومثال ذلك هو اهتداء الفراش إلى ضياء نور الشمعة عندما توقد في المكان المظلم.

٥ - صفة جمال صوته عليه السلام

قال الحافظ ابن عساكر الدمشقي إنه كان في صوت الحسين - عليه السلام - غنة حسنة؛ والغنة هي صوت لذيذ يخرج من أقصى الأنف، وشبه به صوت الرياح في الأشجار الملتفة، ولذلك قيل: «روضة غناء»[1].

إذن:

هذه هي الوجوه التي رآها أهل نجران الذين خرجوا لمباهلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذه هي الوجوه التي تظهر فيها التجليات التي لو أقسمت على الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله.

أما بقية جمال وجوه الأئمة الأطهار فقد أوكلنا التعرف عليها إلى الباحثين وعشاق المعرفة كي لا يخرج البحث عن عنوانه.

---

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من تاريخ دمشق: حديث ٢٦٤. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ج٣، ص٣٩٠. إحقاق الحق للمرعشي رحمه الله: ج٢٧، ص٣٥.

المسألة الثانية: مفردة الجمال في بعض أحاديث العترة عليهم السلام

نعرض هنا بين يدي القارئ الكريم مجموعة من الأحاديث الشريفة الواردة عن العترة النبوية عليهم السلام والتي تتناول وجود الجمال في الأشياء فما من شيء إلا وله جمال إما ظاهر وإما مستتر. كما تدل الأحاديث على أن بعض مصاديق الجمال هو ستر القبح في الأشياء وإخفاؤه عن الناس. لأن الإنسان بطبيعته ينقاد إلى الجمال ويأنس به، وينفر من القبيح ويبتعد عنه. ولذلك جاءت هذه الأحاديث الشريفة لترسم أمام الباحثين والمفكرين حقيقة الجمال وبيان مفهومه.

١ ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ولا جمال أزين من العقل، ولا سواه أسوأ من الكذب»[١].

٢ ـ عن علي أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «الإتيان إلى الجمعة زيارة وجمال! فقيل: يا أمير المؤمنين وما الجمال؟ قال: اقضوا الفريضة وتزاوروا»[٢].

٣ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «عقول النساء في جمالهن وجمال الرجال في عقولهم»[٣].

٤ ـ قال الصادق عليه السلام: «الجود والورع جمال الفقير»[٤].

---

(١) الكافي للكليني: ج ٨، ص ١٨. البحار: ج ١، ص ٨٤.

(٢) مستدرك الوسائل: ج ٦، ص ٧.

(٣) الأمالي للصدوق: ص ٢٢٨.

(٤) مستدرك الوسائل: ج ١١، ص ١٧٥. مشكاة الأنوار للطبرسي. معاني الأخبار للصدوق: ص٢٣٤.

هنا: يشير الإمام الصادق عليه السلام إلى استخدام الجود والورع كستار يستر به الفقير قبح الفقر الذي يعيبه عليه الناس فإذا كان جواداً وورعاً غطى بهذا الجمال عيب فقره.

٥ - قال الصادق عليه السلام: «الخلق الحسن جمال في الدنيا ونزهة في الآخرة»[١].

٦ - قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «حسن الصورة جمال ظاهر وحسن العقل جمال باطن»[٢].

٧ - قال الإمام علي عليه السلام: «العلم جمال لا يخفى ونسيب لا يجفى»[٣].

٨ - وعن علي عليه السلام أنه قال: «جمال العلم نشره وثمرته العمل به وصيانته وضعه في أهله»[٤].

٩ - وله عليه السلام أيضاً: «جمال العالم عمله بعلمه»[٥].

١٠ - وقال عليه السلام: «حسن النية جمال السرائر»[٦].

١١ - وقال عليه السلام: «جمال القرآن البقرة وآل عمران»[٧].

---

(١) مستدرك الوسائل: ج ٨، ص ٤٤٩. البحار: ج ٦٨، ص ٢٩٣.

(٢) البحار: ج ١، ص ٩٥.

(٣) غرر الحكم: ص ٤٢، برقم ٥٥.

(٤) غرر الحكم: ص ٤٤.

(٥) غرر الحكم: ص ٤٥.

(٦) غرر الحكم: ص ٩٢.

(٧) غرر الحكم: ص ١١٠.

١٢ ـ وعنه عليه السلام: «جمال العبد الطاعة»[(١)].

١٣ ـ وعنه أيضاً: «الصدق جمال الإنسان»[(٢)].

١٤ ـ وقال عليه السلام: «طلب الأدب جمال الحسن»[(٣)].

١٥ ـ وقال عليه السلام: «جمال الرجل الوقار»[(٤)].

١٦ ـ وقال عليه السلام: «حسن السيرة جمال القدرة»[(٥)].

١٧ ـ وقال عليه السلام: «جمال المؤمن ورعه»[(٦)].

١٨ ـ وقال عليه السلام: «جمال الدين الورع»[(٧)].

١٩ ـ وقال عليه السلام: «جمال الرجل حلمه»[(٨)].

٢٠ ـ وقال عليه السلام: «جمال السياسة العدل في الأمرة والعفو مع القدرة»[(٩)].

٢١ ـ وقال عليه السلام: «العدل قوام الرعية وجمال الموالاة»[(١٠)].

---

(١) غرر الحكم: ص ١٨١.

(٢) غرر الحكم: ص ٦٩٣.

(٣) غرر الحكم: ص ٢٤٨.

(٤) غرر الحكم: ص ٢٥٠.

(٥) غرر الحكم: ص ٢٥٥.

(٦) غرر الحكم: ص ٢٦٩.

(٧) غرر الحكم: ص ٢٧١.

(٨) غرر الحكم: ص ٢٨٥.

(٩) غرر الحكم: ص ٣٣٩.

(١٠) غرر الحكم: ص ٣٤٠.

٢٢ ـ وقال عليه السلام: «جمال المعروف إتمامه»[١].

٢٣ ـ وقال عليه السلام: «جمال الإحسان ترك الامتنان»[٢].

٢٤ ـ وقال عليه السلام: «جمال العيش القناعة»[٣].

٢٥ ـ وقال عليه السلام: «لا جمال كالحسب»[٤].

٢٦ ـ وقال عليه السلام: «جمال الأخوة إحسان العشرة»[٥].

٢٧ ـ وقال عليه السلام: «جمال الحكمة الرفق وحسن المداراة»[٦].

٢٨ ـ وقال عليه السلام: «جمال الحر تجنب العار»[٧].

٢٩ ـ وقال عليه السلام: «جمال الشر الطمع»[٨].

٣٠ ـ وقال عليه السلام: «من لم يحمل قليلاً لم يسمع جميلاً»[٩].

٣١ ـ وقال عليه السلام: «لو رأيتم الإحسان شكلاً لرأيتموه شكلاً جميلاً»[١٠].

---

(١) غرر الحكم: ص ٣٨٣.

(٢) غرر الحكم: ص ٣٩٠.

(٣) غرر الحكم: ص ٣٩١.

(٤) غرر الحكم: ص ٤٠٩.

(٥) غرر الحكم: ص ٢١٥.

(٦) غرر الحكم: ص ٤٤٥.

(٧) غرر الحكم: ص ٣٢٥.

(٨) غرر الحكم: ص ٢٩٧.

(٩) غرر الحكم: ص ٢٨٧.

(١٠) غرر الحكم: ص ٣٨٣.

٣٢ ـ وقال عليه السلام: «ما أقبح بالإنسان باطناً عليلاً وظاهراً جميلاً»[١].

٣٣ ـ وقال عليه السلام: «جميل النية سبب لبلوغ الأمنية»[٢].

٣٤ ـ وقال عليه السلام: «عوّد نفسك حسن النية وجميل المقصد تدرك في مباغيك النجاح»[٣].

٣٥ ـ وقال عليه السلام: «جميل الفعل ينبئ عن طيب الأصل»[٤].

٣٦ ـ وقال عليه السلام: «جميل القول دليل وفور العقل»[٥].

٣٧ ـ وقال عليه السلام: «الحياء خلق جميل»[٦].

٣٨ ـ وقال عليه السلام: «المرائي ظاهرهُ جميل وباطنه عليل»[٧].

٣٩ ـ وقال عليه السلام: «جميل المقصد يدل على طهارة المولد»[٨].

٤٠ ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويبغض البؤس والتباؤس»[٩].

---

(١) غرر الحكم: ص ٤٥٨.

(٢) غرر الحكم: ص ٩٢.

(٣) غرر الحكم: ص ٩٢.

(٤) غرر الحكم: ص ١٥٣.

(٥) غرر الحكم: ص ٢١٠.

(٦) غرر الحكم: ص ٢٥٦.

(٧) غرر الحكم: ص ٣١١.

(٨) غرر الحكم: ص ٤٠٩.

(٩) ميزان الحكمة للري شهري: ج ١، ص ٤١٤.

وهنا.. ﴿ f g h i j k ﴾[١] طول كل سلسلة فيها ﴿سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾[٢] فيساقون ﴿وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾[٣].

إذن:

هنا.. وهناك: صورتان فـ ﴿هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾[٤].

وبين هذين العسكرين وبين هاتين الصورتين وقف رجل يفكر ويخير نفسه بين الجنة والنار. ولكونه حراً كما سميّ به من الأسماء. ولأنه كان يملك قلباً يفقه به، وعيناً يبصر بها الجمال، وأذناً يسمع بها حفيف أشجار الجنة، وهبوب سموم النيران. ارتقى بنفسه وآلى أن يكون في رتبة من هم أضل من الأنعام.

إذ كان حراً في فكره وبصره وسمعه فاختار الجمال والجنة حيث يقف سيد شباب أهل الجنة عليه السلام.

فهل من عاشق ولهان يتبع أثر الحر بن يزيد الرياحي في سيره إلى الجمال.. إلى تلك الوجوه التي لو أقسمت على الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها.

أوَ غيبها الموت أم هي حاضرة في يوم عاشوراء؟!

---

(١) سورة غافر، الآية: ٧١.

(٢) سورة الحاقة، الآية: ٣٢.

(٣) سورة الحج، الآية: ٢١.

(٤) سورة الحج، الآية ١٩.

المسألة الثانية: كيف بدا الجمال يوم عاشوراء في المشهد الخاص بالعترة عليهم السلام

كما كان لعاشوراء مشهدٌ عامٌ للجمال فإن لها مشهداً خاصاً أيضاً، ونقصد به الجمال الخاص بآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآل أبي طالب عليه السلام.

فقد تناول المؤرخون في تدوينهم وسردهم لواقعة الطف الجمال الذي كان عليه أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم الحسين وولده وأبناء أخيه الحسن السبط ولاسيما ولده القاسم عليهم السلام، وأبناء علي أمير المؤمنين وهم العباس وأخوته عليهم السلام.

وكأن القرآن يعرض للناس مباهلة جديدة من حيث الزمن والخصم، لكن جمال الوجوه وحرمتها عند الله باقٍ فكيف كان جمالهم؟.

أولاً: صفة جمال القاسم ابن الإمام الحسن المجتبى عليهما السلام

يصف الراوي (حميد بن مسلم) خروج القاسم ابن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام بهذا الشكل: «خرج إلينا غلام كأن وجهه شقة قمر في يده السيف وعليه قميص وإزار و - في رجليه - نعلان»[(١)].

والملاحظ في هذا الوصف من الراوي أمور عدة:

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٤١. مقتل الحسين لأبي مخنف: ص١٦٩. الفتوح لابن اعثم: ج ٥، ص١١٢. مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: ص ٥٨. شرح الأخبار: ج ٣، ص ١٧٩. الإرشاد للمفيد: ج٢، ص ١٠٧.

١ ـ أن هذا الجمال الذي رآه حميد بن مسلم في وجه القاسم بن الحسن عليهما السلام والذي عبر عنه بقوله: «كأن وجهه شقة قمر». يعود إلى الشبه الكبير بجده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد أخرج الشيخ الكليني ﷺ، عن ابن مسكان، عن إسماعيل بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا رئي في الليلة الظلماء رئي له نور كأنه شقة[١] قمر[٢].

وعليه:

تكون صفة جمال وجه القاسم عليه السلام (كأنه شقة قمر) تعود إلى نور وجه القاسم، لأن جمال القمر يكمن في نوره وبهائه.

٢ ـ أن يرى (حميد بن مسلم) وهو الواقف في معسكر الأعداء ذلك النور المنبعث من وجه القاسم عليه السلام مع وجود ضوء الشمس ليدفع الإنسان إلى التأمل كثيراً في تصور هذا الجمال الذي لم تستطع الشمس مع شدة ضوئها وقد أشرفت على الانتصاف نهاراً أن تحجب نور وجه القاسم عليه السلام.

٣ ـ من الملاحظ في قول الراوي أيضاً هو: وصفه لملابس القاسم؛ فقال:

---

(١) ومعنى: «شقة قمر»: أن الشق، والشقة بالكسر: نصف الشيء إذا شق. (لسان العرب: ج ١٠، ص١٨٢).

وقيل: «شقة قمر»، أي: قطعة قمر. (مجمع البحرين: ج ٥، ص ١٩٥).

إلا أن المعنى الأقرب نجده في تسمية شقائق النعمان، فقد قيل: النعمان هو اسم الدم، وشقائقه قطعه فشبهت حمرتها بحمرة الدم، وسميت هذه الزهرة شقائق النعمان وغلب اسم الشقائق عليها. (لسان العرب: ج ١٠، ص ١٨٢).

(٢) الكافي: ج ١، ص ٤٤٦.

(وكان عليه قميص وإزار – وفي رجليه – نعلان).

وهذا يدلل على التفاتة الراوي إلى أن القاسم لم يكن معداً للحرب! لأنه لم يلحظ عليه لامة الحرب كما هو حال كل من خرج للقتال؛ وهذا يشير إلى:

أ – أنه من الأصل مرفوع عنه الجهاد لكونه لم يبلغ الحلم.

ب – قلة وجود الناصر والمدافع عن حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما تطلب خروج الأطفال للدفاع عنها.

ج – امتياز العدو بالخسة واللؤم لقتلهم من لم يملك من مستلزمات القتال ما يحمي به رأسه ويصون بدنه. بمعنى أنه أعزل الرأس والجسد.

د – خروجه إلى القتال بهذا الزيّ يعد شهادة على مرّ الليالي والأيام أن الحسين عليه السلام لم يأت بعياله وأحبته وهو يريد أن يقاتل، بل جاء بهم لأنهم الأداة التي يصلح بهم فساد الأمة بعد وفاة نبيها صلى الله عليه وآله وسلم؛ فكانوا الجمر الذي كوي بهم المرض.

وعليه: كان وجه القاسم عليه السلام في يوم عاشوراء يحاكي جمال تلك الوجوه التي لو أنها أقسمت على الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها.

ثانياً: صفة جمال علي الأكبر ابن الإمام الحسين عليهما السلام

وهنا.. الواصف لجمال علي الأكبر عليه السلام هو حجة الله على الخلق. بمعنى: أنه عليه السلام منزه من الخروج عن الحد الشرعي؛ فوصفه لم يكن لأنه والد يرى في ولده الجمال كحال أغلب الآباء؛ وإنما ينم عن واقع ثابت. بل هو مطابق لعين الواقع.

وعليه:

كيف بدا جمال علي الأكبر عليه السلام

كي نتصور هذا الجمال ونراه بعين القلب قبل عين قوة الخيال فلابد من التعرف على جمال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لأن علياً الأكبر كان أشبه الناس خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

بل يدل لفظ المعصوم عليه السلام:

«وكنا إذا اشتقنا إلى رؤية نبيك نظرنا إليه».

على التشابه السنخي وليس النسخي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ أي: أنه كان عين جمال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحيث لا يختلف فيه اثنان من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأن النظر إليه يطفئ لهب الشوق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنه سنخ منه وليس نسخاً فقد يكون النسخ يشابه الأصل بدرجات متفاوتة لكن السنخ هو من عين الأصل.

وهذا يكشف عن مدى الألم الذي خلفه فقد علي الأكبر على آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولاسيما على قلب أبيه الحسين عليه السلام.

ثالثاً: صفة جمال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

أخرج الشيخ الطوسي رحمه الله عن الإمام علي بن موسى، عن جعفر، عن أبيه، عن جده، عن علي عليهم السلام ـ أنه قيل له ـ: «يا علي صف لنا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم كأننا نراه فإنا مشتاقون إليه». قال:

«كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبيض اللون مشرباً بحمرة، ادعج العينين، سبط الشعر، كث اللحية ذا وفرة، دقيق المسربة، كأنما عنقه إبريق فضة، يجري في تراقيه الذهب، له شعر من لبته إلى سرته كقضيب خيط إلى السرة، وليس في بطنه ولا صدره شعر غيره.

شثن الكفين والقدمين، شثن الكعبين، إذا مشى كأنما ينقلع من صخر، إذا أقبل كأنما ينحدر من صبب، إذا التفت التفت جميعاً بأجمعه كله، ليس بالقصير المتردد ولا بالطويل المعط، وكان في وجهه تداوير، إذا كان في الناس غمرهم، كأنما عرقه في وجهه اللؤلؤ، عرقه أطيب من ريح المسك ليس بالعاجز ولا باللئيم، أكرم الناس عشرة، والينهم عريكة، وأجودهم كفا، من خالطه بمعرفة أحبه، ومن رآه بديهة هابه، غرة بين عينيه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وآله وسلم[١].

---

(١) الأمالي للطوسي رحمه الله: ص ٣٤١. الكافي: ج ١، ص ٤٤٣ عن الباقر عليه السلام. مسند زيد بن علي: ص ٤٢٩. عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق: ج ٢، ص٣٨٣. معاني الأخبار: ص ٨١. مناقب الإمام علي للكوفي: ص ١٩. مكارم الأخلاق للطبرسي: ص ١٢. المناقب لابن شهر: ج ١، ص ١٣٥. البحار: ج١٦، ص١٤٤ وص ١٦٥. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٦٨٤. مسند احمد بن حنبل: ١ / ٩٦ و ١٠١ و١٩٠. سنن الترمذي: ج ٥، ص ٢٥٩ / ٢٦٠. مجمع الزوائد للهيثمي: ج ٨، ص ٢٧٢. المصنف لابن أبي شيبة: ج ٧، ص ٤٤٥. الشمائل المحمدية للترمذي: ص١٧. صحيح بن حيان: ج ١٤، ص ٢١٧. الشفا للقاضي عياض: ج ١ / ص١٠٦. الاستذكار لابن عبد البرّ: ج ٨، ص٣٣١. أسد الغابة: ج ١، ص ٢٥.

وهذا الجمال وهذه المعاني كلها كانت ملاحظة في شخص علي الأكبر عليه السلام؛ أي: أنه كان في يوم عاشوراء أحد تلك الوجوه التي كانت تحاكي في جمالها تلك الوجوه التي خرجت لمباهلة نصارى نجران.

هل هناك من شابه النبي خَلقاً وخُلقاً؟

قد يتساءل البعض عن إمكانية حصول هذا المستوى من التشابه بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين علي الأكبر عليه السلام؟ وجوابه في أمرين.

الأمر الأول: فقد دلت الأبحاث العلمية وبخاصة في مجال الهندسة الوراثية على أمكانية حصول نقل الصفات الوراثية كاملة من شخص إلى آخر من خلال ما يختزنه الشريط الوراثي في كل جينة. بمعنى: أن الأسباب والمكونات الطبيعية التي أوجدها الله تعالى في الجينة الوراثية تمكنها من نقل هذا التشابه وبهذا المستوى.

الأمر الثاني: قد دلّت الروايات: على أن هناك من شابه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن عمه جعفر بن أبي طالب عليهما السلام. فقد «كان أشبه الناس خلقاً وخُلقاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[1] وحصول هذا التشابه ما بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وابن عمه جعفر بن أبي طالب من الناحية العلمية أشد تعقيداً في حصوله ما بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي الأكبر، وذلك لأنه يرجع بالجينة الوراثية إلى رتبة أعلى لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجعفر بن أبي طالب عليه السلام أبناء عم.

---

(١) البحار: ج ٢٢، ص ٢٧٥. الاستيعاب لابن عبد البر: ج ١، ص ٢٤٢. شرح مسند أبي حنيفة لملا علي القارئ: ص ٥٣٩. الإكمال في أسماء الرجال لابن ما كولا: ص ٣٧. مقاتل الطالبين للأصفهاني: ص ٥٦.

بينما علي الأكبر حفيده وهذا أسرع في نقل الصفات الوراثية إليه لكونه فرعاً من الأصل.

إذن: كان جعفر بن أبي طالب عليه السلام أشبه الناس خَلقاً وخُلقاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[١].

ثالثاً: صفة جمال العباس بن علي بن أبي طالب عليهما السلام

لم يحدثنا التاريخ عن صفة جمال وجه العباس بن علي بن أبي طالب عليهما السلام بشكل دقيق كما هي عادة الوصافين؛ إلا أننا يمكن أن نرسم لهذا الوجه صورة خاصة من الجمال الذي يخطف الأبصار ويسمر العيون. فقد جمع الله تعالى في وجه العباس عليه السلام جميع حُسن بني هاشم في محيّاهم حتى لقب بـ «قمر بني هاشم»[٢].

ويبدو أن العباس بن علي عليهما السلام حمل من جمال أبيه أمير المؤمنين عليه السلام الذي شبه حسن وجه كأنه: «القمر ليلة البدر»[٣] أو (البدر ليلة تمامه)؛ وحمل أيضاً من جمال جده عبد المطلب الذي خطف حسنه وجمال وجه بصر أبرهة حينما قدم لهدم البيت الحرام وهو ينظر إلى وسامة عبد المطلب عليه السلام، فقد كان وسيماً جسيماً[٤].

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) المناقب لابن شهر: ج ٤، ص ١٠٧. البحار: ج ٤٥، ص ٣٩. مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني: ص٥٦. البحار: ج ٤٥، ص ٣٩. العوالم للبحراني - الإمام الحسين عليه السلام: ص ٢٨٢.

(٣) هذا الوصف وغيره ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب: ج ٧، ص ٢٩٧، نقلاً عن ابن عبد البر وقد مرّ بيان بقية المصادر في صفة جمال أمير المؤمنين عليه السلام.

(٤) تاريخ الطبري: ج ١، ص ٥٣، ط الأعلمي. تفسير أبي السعود: ج ٩، ص٢٠٠.

ولذلك فقد جمع العباس بن علي عليهما السلام من المكونات الجمالية ما لا يملكها أحد من الرجال فكان جماله ليس له نظير حتى وصفه الواصف بقوله: «لقد كان العباس رجلاً وسيما جسيماً يركب الفرس المطهم ورجلاه تخطان في الأرض»(١).

والوسيم هو: الثابت الحسن كأنه قد وسم؛ وفلان وسيم، أي: حسن الوجه وسيما(٢).

وأما المعنى الجمالي المراد من وصفه بركوب الفرس المطهم هو: أن المطهّم من الخيل: الحسن التامّ كلّ شيء منه على حدته فهو بارع الجمال(٣).

وهذا يدلل على أن أبا الفضل العباس عليه السلام كان يمتاز بميزة خاصة وهي الطول الفارع بحيث أن ركوبه على الفرس التامة الجميلة لم تمنع - مع علوها - قدمي أبي الفضل أن تخطا في الأرض.

والمتأمل في هذا الوصف وهذه البسطة في الجسم يجد أن الله جعلها في شخص العباس عليه السلام لغرض التكافؤ في ميزان القوى من الناحية العسكرية ولذلك حاول الشمر بن ذي الجوشن إخراج العباس وأخوته عليهم السلام من ساحة المعركة بكتاب الأمان الذي قدم به من عبيد الله بن زياد بحجة أن أمه من بني أسد.

---

(١) مقاتل الطالبيين للأصفهاني: ص ٥٦. البحار: ج ٤٥، ص ٣٩. العوالم - الإمام الحسين عليه السلام - : ص ٢٨٢. لواعج الأشجان لمحسن الأمين: ص ١٧٩. معالم المدرستين للعسكري: ج ٣، ص١٢٩. مستدركات علم الرجال للشاهرودي: ج ٤، ص٣٥٠. مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ص ١٧٦. أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: ج ٧، ص ٤٣٠.

(٢) لسان العرب لابن منظور: ج ١٢، ص ٦٣٧.

(٣) لسان العرب: ج ١٢، ص ٣٧٢.

إلا أن هذا الأمر فشل.

وعليه فتلك هي إرادة الله في حفظ موازين القوى.

إذن: يضاف هذا الجمال إلى تلك الوجوه التي كانت تحاكي بجمالها جمال تلك الوجوه التي لو أقسمت على الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها.

إلا أن الفارق بين يوم المباهلة في نجران المدينة والمقاتلة في طف كربلاء هو أن هذه الوجوه قد اختار الله لها أن تعفر برمضاء الطف لنصرة دين ربها.

أما صفة جمال الإمام الحسين عليه السلام فلقد مرّ ذكرها وبقي أن نقدم للقارئ الكريم صفة جماله عليه السلام وهو على رمضاء كربلاء، وقد تعاهدت شمسها وغبارها وأسنة الرجالة ونصالها وشفار سيوف الفرسان وسنابك خيلها على تغير جماله وسلبه حسنه وبهاءه فما استطاعت ذلك.

المبحث السادس

مشاهد جمالية من عاشوراء

تعددتْ المشاهد الجمالية في ساحة الطف فهي بين جمال الشكل والهيئة كما مرّ بيانه، وبين جمال القيم الإنسانية والمواقف الحياتية.

وعندما نقول: «حياتية» فهذا يعني أن كل موقف من هذه المواقف أسس لحياة جديدة على الأرض؛ أو أزال عوامل الهلاك عن منبع من منابع الحياة على هذا الكوكب؛ ونقصد به الإنسان الذي إذا صلح، صلح به كل شيء.

ولذلك.. من العسير أن تحصى جميع المشاهد الجمالية في يوم عاشوراء والسبب في ذلك: هو أن النظرة إلى الجمال تختلف بين الناظرين، وتشخيص الجمال وتعيينه يعتمد على الحس الوجداني عند الناظر، فمنهم من يرى أن لا وجود لهذا الجمال؛ ومنهم من يرى أنه موجود في كل ذرة من تراب أرض الطف كشريط جينة وراثية اختزنت في مكنونها العديد من المشاهد الجمالية التي ظهرت في هذا اليوم. ومنهم من يرى أن الجمال في عاشوراء يدور حول الحسين عليه السلام كما يدور النيترون حول النواة فهو لا ينفك عنها لأنها مصدر طاقته وإلهامه في دورانه.

ولذلك: بدا مفهوم الجمال عند من ينظر إلى عاشوراء مختلفاً أيضاً لان عاشوراء لم تظهر بين مكوناتها صوراً للجمال فقط، وإنما كانت مسرحاً ظهرت عليه كل الصور الحياتية، ليدل بعضها على بعض فمعرفة الجمال وتشخيصه وفهمه يدل على القبيح وتشخيصه وفهمه.

ومن هنا:

مثلما كانت كربلاء فريدةً في مصائبها ورزاياها وآلامها كانت فريدة أيضاً في جمعها لمشاهد الجمال والقبح. صور تقابلها صور، يدل جميلها على قبيحها؛ وقبيحها على جميلها؛ كما يدل قبح الظلم على جمال العدل، وجمال الصدق على قبح الكذب.

ولذا بدا فيها:

العلم والجهل، والتوحيد والشرك، والإيمان والنفاق، والحب والبغض، والجزم والحيرة، والشجاعة والجبن، وعلو الهمة ودناءة الهمة، والشهامة وعدم الغيرة والحمية، والإناة والعجلة، والوقار والتعسف، وحسن الظن بالله وسوء الظن به.

وترى: الحلم والغضب، والعفو والانتقام، والرفق والعنف، والنصيحة والعداوة، والتواضع والكبر، والتسليم والبغي، والعفة والشره، والقناعة والطمع، والسخاء والبخل، والأمانة والغدر، والوفاء والخيانة.

وترى: الصدق وضده الكذب، والرضا والسخط، والصبر والجزع، والعبودية والحرية، والعزة والذلة وغيرها من المشاهد التي سجلتها ذرات أرض الطف في يوم عاشوراء، فكل فضيلة هي صورة جمالية تتبعها عين الناظر وتسكن إليها المشاعر.

ولذلك فقد تزاحمت الصور في يوم عاشوراء لدرجة تدفع بالناظر إلى الحيرة في التقديم والانتقاء، فبريق بعضها يشغل القلب عن غيرها، إلاّ أنّ هذا لا يمنع من وضعها بين يدي القارئ الكريم. فلعله يرى جمالاً لم يرَه المؤلف.

المسألة الأولى: سحر جمال ليلة عاشوراء

في ليلة عاشوراء[١] حين خيم الظلام على الأرض وألقى بسكونه على الموجودات فأثقل دبيبها وأبطأ حركتها حتى أجلسها في بلاط سلطانه تتأمل رحمته وتترقب سطوته فبدت وكأنها تنتظر، ربما هي تنتظر قدوم من يبادلها الانتظار؛ أو ربما هي تترقب من يخفف عنها وحشتها فيقص لها قصصاً كتلك التي تحكيها الجدات لأحفادهنّ؛ أو ربما كانت هذه الموجودات ومن بينها الإنسان تستمع لنجوم السماء وهي تحكي لهم بومضاتها الزرقاء والبيضاء قصصاً عن عالمها

(١) سئل الإمام الصادق عليه السلام عن صوم تاسوعاء وعاشوراء؟ فقال: تاسوعاء يوم حوصر فيه الحسين عليه السلام وأصحابه رضي الله عنهم بكربلاء، واجتمع عليه خيل أهل الشام أناخوا عليه وفرح ابن مرجانة وعمر بن سعد بتوافر الخيل وكثرتها واستضعفوا فيه الحسين عليه السلام وأصحابه وأيقنوا أن لا يأتي إلى الحسين عليه السلام ناصر ولا يمده أهل العراق بأبي المستضعف الغريب. وأما يوم عاشوراء فيوم أصيب فيه الحسين عليه السلام صريعاً بين أصحابه، وأصحابه صرعى حوله، أفصوم يكون في ذلك اليوم؟ كلا ورب البيت الحرام ما هو يوم صوم وما هو إلا يوم حزن ومصيبة دخلت على أهل السماء وأهل الأرض وجميع المؤمنين، ويوم فرح وسرور لابن مرجانة وآل زياد وأهل الشام غضب الله عليهم وعلى ذريتهم وذلك يوم بكت عليه جميع بقاع الأرض خلا بقعة، فمن صامه أو تبرك به حشره الله مع آل زياد ممسوخ القلب مسخوطاً عليه، ومن أدخر فيه إلى منزله ذخيرة أعقبه الله تعالى نفاقاً في قلبه إلى يوم يلقاه وانتزع البركة عنه وعن أهل بيته وولده وشاركه الشيطان في جميع ذلك.

(وسائل الشيعة: باب ٢١ من الصوم المندوب).

وعن محمد بن عيسى بن عبيد عن جعفر بن عيسى قال سألت الرضا عليه السلام: عن صوم يوم عاشوراء وما يقول الناس فيه؟ فقال: عن صوم ابن مرجانة تسألني؟! ذلك يوم صامه الأدعياء من آل زياد لقتل الحسين عليه السلام. وهو يوم يتشاءم به آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويتشاءم به أهل الإسلام، واليوم الذي يتشاءم به أهل الإسلام لا يصام ولا يتبرك به.

(الكافي: ج٤، ص ١٤٦، ط دار الكتب الإسلامية. التهذيب: ج٤، ص ٣٠١.

العجيب واللامتناهي لتأخذ فكر الإنسان وخياله بعيداً إلى حيث تقف هذه النجوم وهي شاخصة على سكان الأرض ترقب تحركاتهم حينها راحت الأفكار تعانق الخيال وتعرج به إلى ومضات تلك النجوم لتبادلها السمر وتحدثها عن عالم الإنسان فهو أيضاً يحمل قصصاً عجيبة كتلك القصص التي ترويها النجوم لأهل الأرض.

لكن الفارق بين القصتين أن الأولى دارت أحداثها في عالم السماء وكان أبطالها ومضات النجوم التي تخبر عن الخير والأمان والطهر. والثانية كانت أحداثها في عالم الأرض وكان أبطالها مجاميع من بني البشر وهي تمارس الشر والخوف والرجس وتنشر الرماد في ينابيع المياه وتغرس الآهات في ابتسامات الأمهات لتنبت في نظرات الأطفال أشجاراً جذورها في الصحائف البيضاء وفروعها في أناملهم الرقيقة لتغدو كأعجاز سعف النخيل تلتحف الليف وتزدان بسلها.

وفي ليلة من تلك الليالي التي يسامر فيها خيال الإنسان ومضات النجوم بدأت حكاية جديدة لكنها ليست من الخيال وإنما من الحقيقة ولذا اشتركت النجوم والإنسان في مشاهدة أحداثها وسماع أصواتها، فها هي المقدمات قد أعلنت جرس البدء في الحكاية فقد تجمعت خيول كثيرة في أرض الطف أحاطت بها رجال مختلفة في الأعراق والألوان والميول والهوى والعبادة، وهي مع هذا مجتمعةٌ لقتل رجل واحد وإبادة من تعلق به من أبناء وأهل وأصحاب.

حكاية بدا فيها كل شيء مختلف حتى جرس البدء فقد علق في أعناق خيول كثيرة لتصدر أصواتاً عديدة تعلن للشجر والحجر أن هاهنا ستولد أمة جديدة.

ورفع الستار لبدء عرض الحكاية فبدا المشهد غريباً ومختلفاً كاختلاف الليل

والنهار فكل منهما ينبئ عن عالمٍ مناقض للآخر.

في المشهد الأول: كان الرجال قد تجمعوا لسبغ الوضوء والاغتسال للشهادة والتهيؤ للقاء أسلاف الأحبة فبدوا كأنهم أعمدة بنيانٍ مرصوص صافين أقدامهم يتلون كتاب الله يرتلونه ترتيلاً، عيونهم شاخصة في السماء ترقب ساعة اللقاء وجفونهم غدت دفتين لنبع جارٍ يرطب الخدود المعفرات بالسجدات. يخالهم الناظر إليهم كأنهم أسنةٌ لرماحٍ شامخاتٍ.

حتى إذا طوت ليلة العاشر جدائلها وأسفرت عن جيدها كربلاء وقد زانه عقد الصافنات(١) بدا الرجالُ كليوث روابض تندك لزئيرها الجبال الراسيات. لتعلن أن هاهنا الحياة.

وفي المشهد الثاني: بدت القداح الملوثات بشراب المعصرات تصبغ أفواه خشب مسندة، ترهق وجوههم قترة(٢)، وهم وقوف صافون أبدانهم كأنهم ﴿أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٍ﴾ عيونهم محمرّة قد خالطها السكر والسهر والشر ووجوههم بالذل مغبرة وأفواههم مشترّة(٣) وبالبخر(٤) مغفرّة تلمظ ألسنتها من دماء الصالحين. حتى إذا كشر الليل عن نواجذه وقد ائتزت(٥) لنهب تراث الأنبياء قوارضه ولتعلن بصفيرها أن هاهنا مجاميع الموت. فكانت هذه البداية للحكاية.

---

(١) الصافنات: الجياد والخيل.

(٢) القتر: جمع القترة، وهي الغبار، ومنه قوله تعالى: ﴿تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ (٤١) سورة عبس.

(٣) المشترة: وهي الحيوانات التي تعيد معدتها الطعام إلى الفم لتعيد مضغه من جديد فيكون همها الأكبر التهام أكبر كمية من العلف أثناء رعيها.

(٤) ابخر: رائحة كريهة تنبعث من الفم.

(٥) أزّت القدر وائتزّت إذا اشتد غليانها. (لسان العرب لابن منظور: ج ٥، ص٣٠٧).

المسألة الثانية: بعض المشاهد الجمالية من يوم عاشوراء

المشهد الأول: جمال الصحبة في عاشوراء

للصحبة، والمصاحبة جمال معهود عند المتصاحبين، لكن كيف بدا جمال الصحبة في عاشوراء؟ وكيف رأته عيون من تجلى فيه جمال المصطفى وحسنه صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً: «إنّي لا أعلم أصحاباً خيراً ولا أوفى من أصحابي»[١] فكانت صورة جمالية خاصة في الصحبة لم ير مثلها لا قبل الحسين عليه السلام ولا بعده؛ فمن قد وفى بهذا القدر من الوفاء كما وفى أصحاب الحسين عليه السلام؟ إنه جمال خاص بعاشوراء. فمشاهده تجلت للناظرين على مدى الدهر بحسنها وسحر جمالها، فكان من جميل جمال الوفاء فيها أن يقف أحد أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وهو عمرو بن قرظة الأنصاري عليه السلام يستأذن الحسين عليه السلام، فيأذن له عليه السلام، فيقاتل قتال المشتاقين إلى الجزاء، والمبالغ في خدمة سلطان السماء، حتى قتل جمعاً كثيراً من حزب ابن زياد وجمع بين سداد وجهاد، وكان لا يأتي إلى الحسين عليه السلام سهم إلا اتقاه بيده، ولا سيف إلا تلقاه بمهجته، فلم يكن يصل إلى الحسين عليه السلام سوء حتى أثخن بالجراح، فالتفت إلى الحسين عليه السلام وقال: يا ابن رسول الله أوفيت؟! قال: «نعم أنت أمامي في الجنة فأقرئ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مني السلام، وأعلمه أني في الأثر». فقاتل حتى قتل رضوان الله عليه[٢]. فهل شهدت أرض جمالاً مثل هذا الجمال في الصحبة.

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد (طاب ثراه): ص ٢٣١. الكافي في التاريخ: ج٢، ص ٥٥٩.

(٢) اللهوف: ص ٤٦. مثير الأحزان: ص ٦١ وفيه عمرو بن أبي قرظة. بحار الأنوار: ج٤٠، ص٢٢. العوالم: ج١٧، ص ٢٦٥. أعيان الشيعة: ج١، ص ٦٠٥. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٤٤٢.

المشهد الثاني: جمال الأهل في برّهم ووصلهم

كثيراً ما يجمعنا البيت وتلفنا لحظات الأنس بالأهل، صورٌ هنا وهناك من الجمال تشغلنا مع ساعات الليل والنهار فتحجب بحسنها وأنسها عنا الجمال الحقيقي للأهل. أو فلنقل: إنها تحجب عنا الجمال الذي بدا للأهلِ في عاشوراء.

هذه الصورة الجمالية الكبرى بدت في كربلاء حين بروا بسيد الأهل وكبير البيت وعموده.

واللطيف في هذه الصورة الجمالية أنها كانت انعكاساً لجمال أبهر الناظرين فكان كالشمس تتبعها الكواكب لتعكس نورها...

إنها جمال رعويّة الحسين عليه السلام، وجمال كبير الأهل وراعيهم لعياله. فلاحظ هذا الجمال في قوله عليه السلام وهو يخاطب أصحابه وأهل بيته:

«هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا[١]، وليأخذ كل رجل منكم بيد صاحبه أو رجل من أخوتي وتفرقوا في سواد هذا الليل وذروني وهؤلاء القوم، فإنهم لا يطلبون غيري، ولو أصابوني وقدروا على قتلي لما طلبوكم»[٢].

وفي رواية المجلسي، قال عليه السلام: «وهذا الليل فاتخذوه جملاً وتفرقوا في سواده فإن القوم إنما يطلبوني، ولو ظفروا بي لذهلوا عن طلب غيري»[٣].

---

(١) تاريخ الطبري: ج٣، ص ٣١٥، ط دار الكتب الإسلامية، الإرشاد: ج١، ص٢٣١، الكامل في التاريخ: ج٢، ص ٥٥٩.

(٢) الفتوح لابن أعثم: ج ٥، ص ١٠٥، الطبري: ج ٣ ص ٣٦٥، أعيان الشيعة: ج١، ص ٦٠٠.

(٣) البحار: ج ٤٤، ص ٣١٥.

فهذا الجمال الذي تألق في الصحبة والأبوة والرعوّية من الإمام الحسين عليه السلام انعكس على تلك الشخوص الأزكياء كما تمد الشمس الكواكب بنورها لينعكس منها كمصابيح تتلألأ للناظرين.

فانظر إلى جمال موقفهم: فبدأ القول العباس بن علي عليهما السلام، فقال له: لم نفعل ذلك؟ ألنبقى بعدك؟! لا أرانا الله ذلك أبداً.

ثم إنّ إخوته وأبناء الحسين عليه السلام وبني أخيه الحسن عليه السلام، وابني عبد الله بن جعفر - محمد وعبد الله - تكلموا بهذا ونحوه.

فقال الحسين عليه السلام: «يا بني عقيل حسبكم من القتل بمسلمٍ اذهبوا قد أذنت لكم».

قالوا: فما يقول الناس؟ يقولون إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الأعمام، ولم نرم معهم بسهم، ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب معهم بسيف ولا ندري ما صنعوا! والله لا نفعل، ولكن نفديك أنفسنا وأموالنا وأهلينا، ونقاتل معك حتى نرد موردك، قبح الله العيش بعدك.

وقام إليه مسلم بن عوسجة الأسدي فقال: أنحن نخلي عنك ولّما نعذر إلى الله في أداء حقّك! أما والله حتى اكسر في صدورهم رمحي، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولا أفارقك، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك!.

وقال سعيد بن عبد الله الحنفي: «والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيك والله لو علمت أني أقتل ثم أحرق

حيا ثم أذرّ، يفعل ذلك بي سبعين مرّة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك فكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً»[١].

والأجمل من هذه الأقوال هو ترجمتها على أرض الواقع في صبيحة يوم العاشر، فقد كانوا يتسابقون في الدفاع عن إمامهم عليه السلام ويتسارعون في نصرته؛ وكأنهم خلية نحل تفانت في حب يعسوبها[٢].

إنها مشاهد تألقت فيها مفاهيم كثيرة، وتفجرت منها منابع فكرية عديدة، فكانت منهلاً وموردا يقصده الظمآن ويأنس به الولهان.

المشهد الثالث: جمال الزوجة في وقاية الزوج وصونه

في عاشوراء بدا مشهد جمالي آخر يرسم مفهوماً خاصاً لوجود الزوجة في هذا اليوم الذي امتحن فيه كل من حمل مسؤولية أسرية واجتماعية كالأب، والابن، والزوج، والزوجة، والأم.

فكان من بين هذه المشاهد «الزوجة» فقد أظهر وجودها مفهوماً جمالياً خاصاً ألا وهو «الوقاية».

وخذ على سبيل المثال الواقعي من عاشوراء زوجة زهير بن القين عليه السلام التي كانت سبباً في وقايته وصونه من الوقوع في خطأ لا يصلحه شيء؛ حينما جاءه رسول سيد الشهداء عليه السلام وهو يدعوه للحضور؛ فاحتار زهير بين الاستجابة لهذه الدعوة وبين الرفض. ولم يدرِ أي الأمرين أصوب خوفاً من

---

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٤٠٠ - ٤٠١، الإرشاد: ص ٢٣١، تاريخ الطبري: ٣/٣١٥، الكامل في التاريخ: ج٢، ص ٣١٥، العوالم: ج ١٧، ص ٣٤٤، وقعة الطف: ١٩٨.

(٢) اليعسوب: هو أمير النحل. (لسان العرب، مادة عسب: ج ١، ص ٣٤٢).

الوقوع في أمرٍ ليس فيه لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم رضا.

ولكن ما أسرع أن أتاه الفرج على يد زوجته التي أخرجته من هذه الحيرة وأنقذته من خيار يؤدي به إلى خسران الدنيا والآخرة، فقد أسمعته رضوان الله عليها كلمات قطعت عليه التردد وأحرزت عنده القطع بأن الذهاب إلى الحسين عليه السلام هو الذي فيه تحصيل لرضا الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم؛ قائلة له وقد بدا عليها التعجب من حيرته: «سبحان الله، يبعث إليك ابن رسول الله فلا تجيبه»!!؟.

فقام إلى الحسين عليه السلام فلم يلبث أن انصرف، وقد أشرق وجهه فأمر بفسطاطه فقطع، وضرب إلى لزق فسطاط الحسين عليه السلام ولحق بالحسين عليه السلام[1].

وكان الإمام الحسين عليه السلام قد ذكّره بحديث الصحابي سلمان المحمدي رضوان الله عليه حين خرج معه في غزوة بلنجر التي غلبوا فيها العدو، ففرحوا بنصرهم فالتفت سلمان إلى زهير قائلاً له:

«إن أدركتم سيد شباب آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معه بما أصبتم من الغنائم، فأما أنا فأستودعكم الله»[2].

---

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ص ٢٤٦.

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد رضي الله عنه: ج٢، ص٧٣. مثير الأحزان لابن نما الحلي: ص٣٤. بحار الأنوار للمجلسي: ج٤٤، ص٣٧٢. العوالم للبحراني - الإمام الحسين عليه السلام - : ص٢٢٢. تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٩٩. الكامل في التاريخ: ج٤، ص٤٢. مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ص٧٥. معجم ما استعجم للبكري الأندلسي: ج١، ص٢٧٦. الدر النظيم لأبي حاتم العاملي: ص٥٤٨. المجالس الفاخرة لشرف الدين: ص٢٢١.

ولذا نرى زهيراً قد انقلب من الحيرة إلى اليقين بأن هاهنا تحصيل السرور الأعظم لأن فيه رضا الله ورضا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

المشهد الرابع: جمال المصيبة في الصبر

من مظاهر الجمال في عاشوراء أن تجد جمالاً في محل يعتقد أنه فُقد فيه الجمال لكثرة ما احتوى من الحزن والألم والمصائب. حتى تكونت لدى أغلب الناس صورة غالبها الوحشة التي اسدلت حجاباً على جمال أهل الجمال والفضائل سلام الله عليهم أجمعين.

ولذلك.. ظهرت في عاشوراء مواقف عديدة اقترن فيها السكون والاضطراب في آن واحد فكانت نموذجاً قلما تجد له مثيلاً في الحياة لأن الباعث الذي يحرك الحس الوجداني للإنسان فيظهر معه الاضطراب، يختلف عن الباعث الذي يحرك الحس الوجداني للإنسان فيظهر معه السكون أو السكينة.

فالبواعث للمشاعر الإنسانية مختلفة ومداليلها مختلفة أيضاً؛ فالقلب لا يجتمع فيه إلا انعكاس واحد، ولا يُظهر إلا مدلولاً واحداً، فإمّا السرور وإما النفرة.

لكنها عاشوراء.. هي هكذا فيها كل شيء فريد.

ومن هنا: كان الجمال بمفهومه العاشورائي قد تجلى للأذهان في مواضع عديدة منها: جمال المصيبة! والمصيبة بمدلولها النفسي والاجتماعي موحشة ومؤلمة ولذلك ترى الإنسان ينفر منها ويخشى وقوعها ويحاول تفاديها إما بتوخي الحذر؛ وإما باستشارة العقلاء، وإما بالالتجاء إلى الدعاء والصدقة.

إلاّ أنها إذا وقعت فصاحبها أمام خيارين: إما الصبر وإما الجزع.

فالصبر عند كثير من الناس ممدوح وطيب وجميل؛ إلا أن الكثير أيضاً غاب عن ذهنه أين يكمن الصبر؟

أو فلنقل: إذا أُذن للصبر أن يتجسد بهيئة يرى جمالها، فأين يمكن أن يظهر؟!

ربما يتجلى في المصائب والمحن، وربما يظهر عند مجاهدة النفس وصدها عن هواها، وربما يتجلى حسنه في كتم الشوق للحبيب وربما في غيرها.

أما العلة في ذلك الظهور فهي: أن صاحب المحنة إذا كان مؤمناً لا يرى محنته من حيث بواعث الألم والحزن؛ وإنما يراها من حيث الصبر عليها؛ فهو ناظر إلى ذلك الحسن الذي بدا في قلب أيقن أن المقدّر والمفرّج للبلاء هو الله عز وجل.

فكلما كان اليقين أعظم كلما كان جمال الصبر في المحن والمصائب أجمل وأحسن فهو يؤنس الناظر إليه؛ ويواسيه على أمرٍ يراه الناس موحشاً، وهو يراه جميلا؟ لأن مفهومه للجمال يختلف عنهم.

ولذا.. لم يشهد التاريخ محنة ورزية كانت أعظم مما شهدته عاشوراء فيما لو قيست مع مصائبها إلى عظيم مقام صاحب المصيبة عليه السلام عند الله عزوجل.

ولم يشهد التاريخ أيضاً صبراً كالصبر الذي تحمّله سيد الشهداء عليه السلام، ويكفي من الشواهد على ذلك قوله عليه السلام لما ذبح ولده الرضيع وهو في حجره: «هوّن ما نزل بي انه بعين الله تعالى»[1].

ولكونه بعين الله تعالى فقد تجلى جمال الصبر أرقى درجات التجلي فكان هو المصدر الذي هوّن نزول المصيبة.

---

(١) مقتل الإمام الحسين عليه السلام، للسيد المقرم رحمه الله: ص ٢٨٨.

المشهد الخامس: جمال الملحمة في الثّبات

ذكر أصحاب اللغة في بيان: «الملحمة» بأنها الحرب ذات القتل الشديد[١].

ولو تصفحنا تاريخ الأمم، وبحثنا عن الملاحم التي أدت إلى انهيار الدول أو انكسار الجيوش، ونظرنا إلى القتل الشديد الذي سجلته هذه الملاحم في ذاكرة الشعوب؛ لوجدنا أن أشد الملاحم قتلاً هي ملحمة الطف.

والعلة في ذلك هي: أن يجتمع أكثر من ثلاثين ألفاً[٢] بين فارس وراجل على مجموعة من الرجال لم يبلغوا المائة ومعهم النساء والأطفال فيطبقوا عليهم يقاتلونهم أشد القتال ولم يستثنوا حتى الطفل الرضيع ذي ستة الأشهر؛ بل أعظم من ذلك سحق جسد أبيه بحوافر الخيل[٣]!. أمام مرأى بناته وأخواته!.

فأي ملحمة بعد ذلك أعظم من ملحمة الطف.

وفي هذه الصورة الموحشة والقاتمة كقتامة الدماء المزوجة بالرمال ووهج أشعة الشمس تلألأت صورة للحسن والجمال ألا وهي ثباتُ أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته، حتى أعيوا هذه الجموع، لدرجة أخذ عمرو بن الحجاج - وهو أحد قادة الجيش - يستغيث بعد أن يئس جيشه وفرسانه من فتح

---

(١) لسان العرب لابن منظور: ج١٢، ص٥٣٧.

(٢) الأمالي للصدوق: ص١٧٧ ، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٣٨. مثير الأحزان لابن نما الحلي: ص٢٧. البحار: ج٤٥، ص٢١٨. اللهوف لابن طاووس: ص١٩. الخصائص الفاطمية للكجوري: ص٤٣٣. المجالس الفاخرة للعلامة شرف الدين: ص١١٩.

(٣) الإرشاد للمفيد: ج٢، ص١١٣. الكامل في التاريخ: ج٤، ص ٨٠. أعلام الورى: ج١، ص٤٧٠. الدر النظيم لابن حاتم: ص٥٥٨. شرح منهاج الكرامة للميلاني: ص٥٥٨. تاريخ الطبري: ج٦، ص١٦١. مروج الذهب: ج٢، ص٩١. الخطط المقريزية: ج٢، ص٢٨٨. تاريخ الخميس: ج٣، ص٣٣٣.

ثغرة في صفوف هذه الثبيت[1] الذين لا يهزمون حتى قرب نصف النهار، فنادى – عمرو بن الحجاج – بأصحابه: أتدرون من تقاتلون؟. تقاتلون فرسان المصر، وأهل البصائر، وقوماً مستميتين، لا يبرز إليهم أحد منكم إلا قتلوه على قلتهم، والله لو لم ترموهم إلاّ بالحجارة لقتلتموهم!.

فقال عمر بن سعد – القائد العام للجيش –: صدقت، الرأي ما رأيت، أرسل في الناس من يعزم عليهم أن لا يبارزهم رجل منهم ولو خرجتم إليهم وحداناً لأتوا عليكم[2].

وهذا القول له دلالة واضحة على إمكانية غلبة هذه الفئة القليلة التي أحاط بها أكثر من ثلاثين ألفاً وعلى هزمهم شر هزيمة، بل يفيد قول قائد الجيش «ولو خرجتم عليهم وحداناً لأتوا عليكم»، عن قدرة أصحاب الحسين من القضاء على هذا الجمع الغفير فيما لو أخذوا يبارزوهم فرادى.

ولذلك نراهم كم من مرة ومرة حملوا على أصحاب الإمام الحسين عليه السلام من كل جانب وبخاصة فرق الفرسان، ومع ذلك لم يتمكنوا من كسر صفوفهم والنيل من ثباتهم.

يقول الطبري[3]: وقاتلهم أصحاب الحسين – عليه السلام – قتالاً شديداً

---

(١) الثّبتْ والثّبيتُ: الفارس الشجاع.

لسان العرب: ج٢، ص١٩.

(٢) تاريخ الطبري: ج٣، ص١٠٤٥. الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٦٧. ولم يوردا لفظ (أهل البصائر) وأوردها السيد المقرم في مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص٢٤٨.

(٣) هو محمد بن جرير بن يزيد بن خال، وقيل يزيد بن كثير بن غالب الطبريّ، ويكنى بأبي جعفر، ولد سنة ٢٢٤هـ وتوفي سنة ٣١٠هـ وقد جاوز الثمانين، وله تصانيف عديدة في الفقه والتفسير ←

وأخذت خيلهم تحمل، وإنما هم اثنان وثلاثون فارساً وأخذت لا تحمل على جانب من خيل أهل الكوفة إلا كشفته فلما رأى ذلك عزرة بن قيس، وهو على خيل أهل الكوفة أن خيله تنكشف من كل جانب بعث عمر بن سعد، عبد الرحمن بن حصن، فقال: أما ترى ما تلقى خيلي مذ اليوم من هذه العدة اليسيرة! أبعث إليهم الرجال والرماة.

فدعا عمر بن سعد، الحصين بن تميم، فبعث معه المجففة(١) وخمسمائة من المرامية، فأقبلوا حتى إذا دنوا من الحسين وأصحابه رشقوهم بالنبل، فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم وصاروا رجالة كلهم(٢).

إذن: هو مشهد تجلى فيه جمال ما بعده جمال في تلك الملحمة التي تلألأت فيها فعال تلك الفرسان، وأي حسن شغل القادة والجند وهم يشاهدون هذه الفحولة والثبات ورباطة الجأش التي تزين بها أصحاب الإمام الحسين عليه وعليهم السلام.

والحديث والقراءة وغيرها. راجع: «وفيات الأعيان»: ج٤، ص١٩١، معجم المؤلفين لكحالة: ج٣، ص٨٩٥.

(١) قال الطبري: وكان الحصين بن تميم على شرطة عبيد الله بن زياد فبعثه إلى الحسين عليه السلام فولاه عمر مع الشرطة المجففة ليزيد بن معاوية. (الطبري في تاريخه:ج ٤، ص٣٣٦).
والمجففة، هي: صنف من أصناف الدروع يوضع على الخيل ليقيها النبل، فهو أشبه ما يكون بالفرقة المدرعة، فتمسى الخيل التي عليها هذا الدرع بـ(المجففة) والتي لم تكسى به تسمى: (المجردة). وقد استخرجنا هذا المعنى من خلال حديث ابن الأثير في ذكره لخروج الجنيد لغزو طخارستان. (الكامل لابن الأثير: ج ٥، ص١٦٤).

(٢) الكامل لابن الأثير: ج٤، ص٦٨. تاريخ الطبري: ج٣، ص١٠٤٦. معالم المدرستين للعسكري: ج ٣، ص ١٠٥.

المشهد السادس: جمال الابتلاء في الاستبشار بالعاقبة

جمعت عاشوراء أنواعاً عديدةً من الابتلاء حتى عُدت مثالاً يتأسى به أهل الابتلاء والمحن لأخذ العبرة والعون الذي يمد النفس بالصبر والتحمل.

إلاّ أن السؤال الذي يرد على الذهن هو: من أين أخذ أصحاب الحسين عليهم السلام هذا المدد والعون وقوة التحمل على جميع أنواع ابتلاءات عاشوراء؟

والجواب: هو أن مستوى اليقين لهؤلاء الرموز يختلف عن المستوى الذي عليه عامة المؤمنين عند ابتلائهم بأحد أنواع البلاء.

ويمكن للناظر إلى كربلاء أن يدرك هذا المعنى من خلال الواقع العملي الذي كان عليه هؤلاء الأبطال؛ فلم ترهبهم كثرة الجيوش التي أحاطت بهم من كل جهة، ولم تحبط من هممهم؛ ولم تتمكن من زعزعة نياهم التي بدت كأنها الجبال الرواسي.

بل إنهم أعطوا صورة مخالفة لما عليه المقاتلون في جميع ساحات القتال؛ فلم يسجل التاريخ لنا أنّ بعضاً ممن خرجوا للحرب وتجهزوا لها أن قاموا وتزينوا كما يتزين الرجل ليلة زفافه، ويتهيأ للدخول على أنسه وعرسه.

فقد روى أصحاب المقاتل: «أن برير بن خضير الهمداني – المقرئ – هازل عبد الرحمن الأنصاري، فقال له عبد الرحمن: ما هذه ساعة باطل؟!.

فقال برير: لقد علم قومي ما أحببت الباطل كهلاً ولا شاباً، ولكني مستبشر بما نحن لاقون، والله ما بيننا وبين الحور العين إلاّ أن يميل علينا هؤلاء بأسيافهم ولوددت أنهم مالوا علينا الساعة.

وخرج حبيب بن مظاهر يضحك، فقال له يزيد بن الحصين الهمداني ما هذه ساعة ضحك:

قال حبيب: وأي موضع أحق بالسرور من هذا؟ ما هو إلا أن يميل علينا هؤلاء بأسيافهم فنعانق الحور»[1].

وأي موضع تجلى فيه جمال أهل الابتلاء فغدوا مستبشرين بما هم لاقون وموقنين بحسن العاقبة التي جعلها الله للمتقين؛ فما هي إلاّ لحظات وسيكونون في أعراسهم ودورهم في الجنة التي لطالما اشتاقوا إليها واشتاقت إليهم.

تجـــري الطلاقـــة في بهـــاء وجـــوههم	**أن قطبـــت فرقـــاً وجـــوه كماتهـــا**
وتطلعـــت بـــدجى القتـــام أهلـــة	**لكـــن ظهـــور الخيـــل مـــن هالاتهـــا**
فتـــدافعت مـــشي النزيـــف إلى الـــردى	**حـــتى كـــأن المـــوت مـــن نـــشواتها**
وتعانقـــت هـــي والـــسيوف وبعـــد ذا	**ملكـــت عنـــاق الحـــور في جناتهـــا[2]**

المشهد السابع: جمال الحميّة في صون الحُرم

من أجمل صفات الرجولة هي الغيرة والحميّة؛ بل تكاد تكونُ أهم الدلائل التي تدل على رجولة من اتصف بالذكوريّة؛ بمعنى آخر: ليس كل من كان ذكراً كان رجلاً، فكم من ذكر لا يحمل من ذكوريته إلا الوظيفة الحيوانية. بل إنّ البعض - وبخاصة في هذا العصر- قد احتملوا من الميوعة ما تترفع عنها النساء.

ولذلك... نجد أن الأحاديث الشريفة جاءت لتحفظ الرجولة في المؤمن،

---

(١) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للسيد المقرم: ص٢٢٣ - ٢٢٤.

(٢) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للمقرم: ص٢٢٤، والأبيات للسيد محمد حسين الكيشوان رحمه الله.

وتظهر جمالها وزهوها في الغيرة والحمية.

فقد أخرج الشيخ الكليني قدس سره بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كان إبراهيم عليه السلام غيوراً وأنا أغير منه، وجدع الله أنف من لا يغار من المؤمنين والمسلمين»[١].

وعن الصادق عليه السلام قال:

«إن الله تبارك وتعالى غيور يحب كل غيور ولغيرته حرم الفواحش ظاهرها وباطنها»[٢].

وعن الصادق عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«إن الغيرة من الإيمان»[٣].

وقد تسابق أصحاب الإمام الحسين عليهم السلام في الملمات للدفاع عن القيم وحفظ الحُرم والمقدسات وتمايزوا فيما بينهم في أيهم الأسرع تلبيةً للذب عنها، لأن ذلك يكشف عن مستوى حميتهم وغيرتهم التي فيها جمال رجولتهم ورسوخ إيمانهم.

وهو ما تجلى كمشهد جمالي من مشاهد الجمال في عاشوراء، لما استوحشت مخدرة بيت النبوة زينب عليها السلام في ليلة عاشوراء وهي تنظر إلى تلك الجيوش

---

(١) الكافي: ج٥، ص٥٣٦. وسائل الشيعة: ج٢٠، ص١٥٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) وسائل الشيعة للعاملي: ج١٤، ص ١٠٨، برقم (٢٥٢٨٩).

التي زحفت نحو الحسين عليه السلام وقد أحاطت به من كل جانب.

فتوجهت عليها السلام بالسؤال إلى أخيها الحسين عليه السلام لما دخل عليها - حينما كان في جوف هذه الليلة يتفقد التلاع والعقبات؛ فتبعه نافع بن هلال الجملي رضي الله عنه، فلما دخل الحسين خيمة زينب ووقف نافع بإزاء الخيمة ينتظر - خروج الحسين عليه السلام - سمع زينب تقول له: هل استعلمت من أصحابك نياهم؟ فإني أخشى أن يسلموك عند الوثبة؟.

فقال لها: والله لقد بلوهم فما وجدت فيهم إلا الأشوس الأقعس يستأنسون بالمنية دوني استئناس الطفل إلى محالب أمه. قال نافع: فلما سمعت هذا منه بكيت وأتيت حبيب بن مظاهر وحكيت ما سمعته منه ومن أخته زينب -عليها السلام-. قال حبيب: والله لولا انتظار أمره لعاجلتهم بسيفي هذه الليلة، قلت: إني خلفته عند أخته وأظن النساء أفقن وشاركْنَها في الحسرة، فهل لك أن تجمع أصحابك وتواجهوهن بكلام يطيب قلوبهم؟. فقام حبيب ونادى: «يا أصحاب الحميّة وليوث الكريهة». (أي: الحرب)، - وانظر أخي المؤمن إلى تلبيتهم لهذا النداء والى جمال رجولتهم وتألق غيرهم وبريق حميتهم -.

فتطالعوا من مضاربهم كالأسود الضارية، فقال لبني هاشم ارجعوا إلى مقركم لا سهرت عيونكم.

ثم التفت إلى أصحابه وحكى لهم ما شهده وسمعه نافع فقالوا بأجمعهم: والله الذي منّ علينا بهذا الموقف لولا انتظار أمره لعاجلناهم بسيوفنا الساعة! فطب نفساً وقرّ عيناً؛ فجزاهم خيراً.

وقال: هلموا معي لنواجه النسوة ونطيب خاطرهن.

فجاء حبيب ومعه أصحابه وصاح: يا معشر حرائر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هذه صوارم فتيانكم آلوا ألاّ يغمدوها إلا في رقاب من يريد السوء فيكم، وهذه أسنة غلمانكم أقسموا ألا يركزوها إلا في صدور من يفرق ناديكم.

فخرج النساء إليهم ببكاء وعويل وقلن أيها الطيبون حاموا عن بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحرائر أمير المؤمنين عليه السلام[(١)].

فضج القوم بالبكاء حتى كأن الأرض تميد بهم.

المشهد الثامن: جمال الحيرة في اتباع الحق

من المشاهد الجمالية التي شهدتها عاشوراء هي جمال الحيرة!!، والحيرة هي: اختلاط الأمور على الحائر فلا يدري أيها يقصد؛ «ورجل حائر: إذا لم يتجه إلى شيء، والمستحير: سحاب ثقيل متردد ليس له ريح تسوقه؛ والحائر، تجمع الماء»[(٢)].

ومنه سمي الحائر الحسيني لتجمع الماء حوله حينما قام المتوكل العباسي بحرث أرض الطف وفتح الماء فيها كي تضيع معالم القبر الشريف إلا ان الله يأبى إلا أن يتم نوره؛ فحار الماء[(٣)]، ووقف مطأطئا برأسه معتذراً من صاحب القبر الشريف.

---

(١) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للسيد المقرم: ص ٢٢٦ - ٢٢٧. موسوعة شهادة المعصومين عليهم السلام لمعهد باقر العلوم: ج١، ص١٩٢. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٤٩٣. المجالس الفاخرة شرف الدين: ص٢٣١.

(٢) الصحاح للجوهري: ج٧، ص٦٤٠.

(٣) تاريخ الطبري: ج٧، ص٣٦٥. الكامل في التاريخ: ج٧، ص٥٥. شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي: ج٣٣، ص٧٣٥. الأمالي للشيخ الطوسي: ص٣٢٩. مناقب آل أبي طالب لابن شهر:ج٣، ص٢٢١.

وفيه يقول ابن السكيت:

بالله إن كانت أمية قد أتت	**قتل ابن بنت نبيها مظلوما**
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله	**هذا لعمرك قبره مهدوما**
اسفوا على أن لا يكونوا	**شاركوا في قتله فتتبعوه رميما**[(١)]

ولذلك:

قد يستغرب القارئ من وجود جمال في الحيرة!! ولكنه لو نظر إلى موقف الحر بن يزيد الرياحي عليه السلام فإنه يدرك كم للحيرة من جمال خاطف فيما لو انتهت باتباع الحق. إنه جمال لا يأنس به إلا صاحبه.

هذا الأنس عاشه الحر عندما أخذ ينظر إلى تلك المشاهد في كلا المعسكرين، فرأى الجنة في المعسكر الأول حيث يقف الإمام الحسين وصحبه عليهم السلام؛ وكأن لسان حاله يقول: «كيف يكون سيد شباب الجنة في مكان والجنة في مكان آخر»؟!.

ورأى في المعسكر الثاني حيث يقف عمر بن سعد وجنده، النار التي هم فيها خالدون؛ وإلا كيف يكون حال من تجمع وتجهز وعزم على قتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والله تعالى يقول:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[(٢)].

---

(١) الوافي بالوفيات للصفدي: ج١١، ص١٠٢. تاريخ الإسلام للذهبي: ج ١٧، ص ٢٠. تاريخ الخلفاء: ص٦. البداية والنهاية لابن كثير: ج ١١، ص ١٤٣.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٥٧.

ولذا: لما سمع الحر بن يزيد الرياحي كلام الإمام الحسين عليه السلام واستغاثته، أقبل على عمر بن سعد وقال له: أتقاتل أنت هذا الرجل؟ قال: إي والله قتالاً أيسره أن تسقط فيه الرؤوس وتطيح الأيدي!!.

قال: ما لكم فيما عرضه عليكم من الخصال؟ فقال: لو كان الأمر إليّ لقبلته، ولكن أميرك أبى ذلك. فتركه ووقف مع الناس.

وكان إلى جنبه قرة بن قيس، فقال لقرة: هل سقيت فرسك اليوم؟ قال: لا، قال: فهل تريد أن تسقيه؟ فظن قرة من ذلك أنه يريد الاعتزال، ويكره أن يشاهده فتركه فأخذ الحر يدنو من الحسين قليلاً فقال له المهاجر بن أوس: أتريد أن تحمل؟.

فسكت وأخذته الرعدة، فارتاب المهاجر من هذا الحال، وقال له: لو قيل لي من أشجع أهل الكوفة لما عدوتك، فما هذا الذي أراه منك؟.

فقال الحر: إني أخير نفسي بين الجنة والنار، والله لا أختار على الجنة شيئاً ولو أحرقت»[1].

إذن:

فهذا هو الأنس الذي عاشه الحر عليه السلام عند ما تجلى له جمال اتباع الحق حينما مرّ بفترة من الزمن احتار فيها بين أن يتبع الحق أو الباطل، فاختار الحق وبدت له الجنة وكأنه يراها، بل أيقن أنه الآن قد دخلها.

ولذا قال: «والله لا أختار على الجنة شيئاً ولو أحرقت».

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس: ص٦٢. الهداية والنهاية لابن كثير: ج٨، ص ١٩٥.

المشهد التاسع

جمال التوبة في الإنابة

هذا الجمال الذي تجلى للحر بن يزيد الرياحي عليه السلام في الحيرة والخروج منها باختيار الحق، أتبعهُ بجمال آخر وهو جمال التوبة.

والصورة التي ينقلها أصحاب المقاتل والتاريخ في توبة الحر عليه السلام، و«رجوعه عن ذنبه»[١] صورة في غاية الحسن ومنتهى الذوق الرفيع الذي تحلى به الحر.

فقد ضرب بجواده نحو الحسين عليه السلام منكساً رمحه، قالباً ترسه، وقد طأطأ برأسه حياءً من آل الرسول بما أتى إليهم وجعجع بهم في هذا المكان على غير ماءٍ ولا كلأ رافعاً صوته:

«اللهم إليك أنيب فتب عليّ، فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد نبيك! يا أبا عبد الله إني تائب فهل لي من توبة»؟.

فقال الحسين عليه السلام:

«نعم يتوب الله عليك».

فسره قوله، وتيقن الحياة الأبدية والنعيم الدائم[٢].

لأنه رأى جمالاً وحسناً في هذا الرجوع بالتوبة إلى الله عز وجل.

---

(١) مجمع البحرين: ج٢، ص١٥، مادة توب، والتوبة في مصطلح أهل العلم الندم من الذنب لكونه ذنباً.

(٢) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للسيد المقرم: ص٢٤٦.

المشهد العاشر: جمال الزوجية في التكافؤ

جمعت كربلاء في حادثة الطف جميع مكونات الأسرة، ففيها تجد الأب والأم والأولاد ذكوراً وإناثاً، كباراً وصغاراً، وتجد فيها الأخوة والأخوات، والعم والعمة والخال والخالة وأبناء العمومة، وغيرهم ممن تجمعهم رابطة القرابة والعشيرة.

ولو توقفنا مع كل مكون من هذه المكونات الأسرية لوجدنا فيه دروساً عديدة من البناء النشأوي الاجتماعي؛ ولأخذنا منه منهاجاً تربوياً لكل أسرة مسلمة، ولاسيما ونحن اليوم بأمس الحاجة إلى ما يجمع أبناء الأسرة الواحدة بعد أن وردت عليها الثقافات المخالفة للقيم والمبادئ التي نشأت عليها الأسرة المسلمة.

فمع توفر كل سبل الرفاهية في العيش إلا أننا نجد التزاحم فيما بين الأخوة والأخوات وهم ضمن نطاق بيت واحد، فكيف بهم إذا اشتد بهم العسر وضاق بهم العيش وتعسر عليهم استحصال أبسط مستلزمات الحياة؟!. أسيأتلفون، أم تدبُّ الخلافات فيما بينهم أكثر فأكثر؟

ولذلك: لو نظر القائمون على الأسر والراعون لها، آباءً كانوا أم أمهاتٍ إلى كربلاء وما حوته من مشاهد أسرية صحب أصحابها ورعاتها الحسين عليه السلام لأخذوا الدروس والعبر العديدة في آلية التعامل مع أبنائهم وأزواجهم وإخوانهم وأخواتهم وغير ذلك؛ ولتعلموا المناهج المتطورة في التنشئة الاجتماعية والأسرية.

ومن هذه المناهج، هو: التكافؤ بين الزوجين.

فقد قدمت كربلاء أجمل صورة من التكافؤ الفكري والعقائدي والإيماني والجهادي بين زوجين قدما لنصرة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهما «عبد الله بن عمير الكلبي من (بني عليم) وكنيته أبو وهب وزوجته أم وهب بنت عبد الله بن النمر بن قاسط».

وكان أبو وهب طويلاً شديد الساعدين بعيد ما بين المنكبين شريفاً في قومه شجاعاً مجرباً.

أما المشهد الجمالي الذي تجلى فيه هذا التكافؤ بينهما، فقد ظهر في موضعين:

الموضع الأول: حين استشارها في أمر خروجه والتحاقه بركب الحسين عليه السلام، فقالت له: «أصبت أصاب الله بك أرشد أمورك، افعل وأخرجني معك» فخرج بها ليلا حتى أتى حسيناً وأقام معه[1].

والموضع الثاني: حين خرج يسار مولى زياد بن أبيه وسالم مولى عبيد الله بن زياد (عليهما لعنة الله) فطلبا البراز؛ فوثب حبيب بن مظاهر وبرير بن خضير، فلم يأذن لهما الحسين عليه السلام.

فقام عبد الله بن عمير الكلبي أبو وهب فأذن له، وقال عليه السلام:

«أحسبه للأقران قتالاً».

فقالا له من أنت؟ فانتسب لهما. فقالا: لا نعرفك ليخرج إلينا زهير أو حبيب أو برير، وكان يسار قريباً منه، فقال له ـ أبو وهب ـ: يا ابن الزانية أو بك رغبة عن مبارزتي ثم شد عليه بسيفيه يضربه.

وبينما هو مشتغل به؛ إذ شد عليه سالم فصاح أصحابه قد رهقك العبد فلم

---

(١) أبصار العين للشيخ السماوي: ص ١٧٩.

يعبأ به فضربه سالم بالسيف فاتقاها عبدالله بيده اليسرى فأطار أصابعه ومال عليه عبدالله فقتله، وأقبل إلى الحسين يرتجز وقد قتلهما.

وأخذت زوجته أم وهب عموداً وأقبلت نحوه، تقول له: فداك أبي وأمي قاتل دون الطيبين ذرية محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ فأراد أن يردها إلى الخيمة فلم تطاوعه وأخذت تجاذبه ثوبه وتقول: لن أدعك دون أن أموت معك.

فناداها الحسين – عليه السلام –: «جزيتم عن أهل بيت نبيكم خيراً، أرجعي إلى الخيمة فإنه ليس على النساء قتال» فرجعت[1].

لكن هذه الزوجة الصالحة لم تترك زوجها فقد عزمت أن تكون معه حياً وميتاً، وأن تقبل معه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد قدما له ما يسره ويقر عينه في الدفاع عن ولده وريحانته من الدنيا.

فما هي إلا ساعة من الوقت تمر على أبطال الطف، فمنهم من مضى شهيداً، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا، وها هي الثلة القليلة الباقية تواجه الظالمين بكل ما أوتيت من عزم وقوة.

وحمل الشمر في جماعة من أصحابه على ميسرة الحسين عليه السلام فثبتوا لهم حتى كشفوهم، وفيها قاتل عبدالله بن عمير الكلبي فقتل تسعة عشر فارساً، واثني عشر راجلاً؛ وشد عليه هاني بن شبث الحضرمي فقطع يده اليمنى، وقطع بكر بن حي ساقه. فأخذه أسيراً وقتل صبراً.

فمشت إليه زوجته أم وهب وجلست عند رأسه تمسح الدم عنه وتقول:

---

(١) مثير الأحزان لابن نما: ص٤٦، البحار: ج ٤٥، ص ١٧.

«هنيئاً لك الجنة أسأل الله الذي رزقك الجنة أن يصحبني معك».

فقال الشمر لغلامه رستم: أضرب رأسها بالعمود، فشدخه وماتت مكانها، وهي أول امرأة قتلت من أصحاب الحسين عليه السلام[1].

وقطع رأسه ورمى به إلى جهة الحسين عليه السلام فأخذته أمه ومسحت الدم عنه؛ ثم أخذت عمود خيمة وبرزت إلى الأعداء؛ فردها الحسين - عليه السلام - وقال: «ارجعي رحمك الله فقد وضع عنك الجهاد»، فرجعت وهي تقول: «اللهم لا تقطع رجائي». فقال الحسين: «لا يقطع الله رجاءك»[2].

فكانت هذه الأسرة الجليلة بإيمانها وعقيدتها وتفانيها لمولاها وإمامها، نموذجاً فريداً تجلت فيه جمالية الأسرة المسلمة، وجمالية الأمومة، وتكافؤ الزوجين، والغيرة الراسخة في الرجولة، والتصميم على الشهادة، ورباطة الجأش، والصبر على الرزية، وغيرها من القيم الإنسانية، والمفاهيم الحياتية.

المشهد الحادي عشر: جمال الحب في أن يكون الحبيب أكبر همك

كل ما يحتاج إليه الوجدان الإنساني من أحاسيس وعواطف يجدها في عاشوراء. بل لا نبالغ إذا قلنا: إنّ عاشوراء منبعٌ تنهل منه الإنسانية ما يروي وجدانها ويغذيها بالعاطفة؛ فكفى بها أنها روح الدمعة، ومرفأ الحس الإنساني، الذي ترسو عنده جموع المستضعفين والمحرومين.

وعندها يتنفس المهموم نسيم الفرج؛ ويجد اليائس الأمل والإصرار على

(١) بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٧. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: ص٢٦١.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ص ٢٥٢، نقلاً عن تظلم الزهراء عليها السلام: ص ١١٣.

السيّر في طريق الحرية والحياة الكريمة، وعندها تجد الأرامل واليتامى الحنان، والثكلى الصبر، والمفجوع التصبّر، والواجد التأسي؛ وغيرها من الصور والمشاهد العديدة لمختلف الروابط الإنسانية.

حتى أنك لتجد الحبّ بأجمل مصاديقه، وأحسن هيئاته، حينما يكون الحبيب أكبر همك بل هو همّك الذي لا يشغلك أمر سواه حتى النفس الأخير. هذا النفس الذي يكون كل امرئٍ فيه مشغولاً بنفسه وينشد خلاصه ولا يحضره سوى أمر نجاته، حتى في هذه اللحظات التي عليها كل الناس، أي لحظات تلفظ الأنفاس وخروج الروح. تراها اختلفت في كربلاء.

فجمال الحب في عاشوراء ليس له شبيه! فهو فريد كفردانيتها! فمَنْ مِنَ المحبين وهو يتلفظ أنفاسه الأخيرة، ويجود بروحه، وجراحاته تشخب دما، يكون أكبر همه، حبيبه الواقف عند رأسه!!؟.

إنه مشهد لا تجده إلا في كربلاء، عندما حمل عمرو بن الحجاج من نحو الفرات فاقتتلوا ساعة، وفيها قاتل مسلم بن عوسجة، فشد عليه مسلم بن عبدالله الضبابي، وعبد الله بن خشكارة البجلي؛ وثارت لشدة الجلاد غبرة شديدة، وما انجلت الغبرة، إلا ومسلم صريع وبه رمق؛ فمشى إليه الحسين عليه السلام ومعه حبيب بن مظاهر، فقال له الحسين:

«رحمك الله يا مسلم، ﴿مِّنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[1]».

ودنا منه حبيب وقال: عزّ عليّ مصرعك؛ يا مسلم أبشر بالجنة.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

فقال بصوت ضعيف: بشرك الله بخير.

قال حبيب: لو لم أعلم أني في الأثر لأحببت أن توصي إلي بما أهمك؟.

فقال مسلم: أوصيك بهذا؛ وأشار بيده إلى الحسين، أن تموت دونه[1].

قال – حبيب –: أفعل ورب الكعبة. وفاضت روحه بينهما.

فكان مشهداً تجلى فيه جمال الحب حينما يكون الحبيب أكبر هم المحب.

المشهد الثاني عشر: جمال الفروسية في رشاقة الحركة

من الطبيعي أن تكون الفروسية معلماً من معالم الطف؛ ومن الطبيعي أن عاشوراء شهدت كثيراً من المشاهد القتالية لدى الفرسان وهم بين كرٍ وفرٍ، والتحام، واقتحام، وثبات.

وفي الطف تعددت أنواع الجند بين رامٍ، وراجل، وفارس، وهم الذين ينازلون من على ظهور الخيل وعليهم يرتكز ثقل القتال، والفارس لا يكون فارساً حتى يكون متقناً لفنون القتال؛ سواء أكان يقاتل من على ظهر جواده أم راجلاً، وهو ما يكون عليه آخر أمره، أي: أن الفارس أول ما يبدأ يقاتل يكون وهو على ظهر فرسه، فإذا عقر الفرس، كأن يكون قد رمي بسهم أو طعن برمح، فإنه يترجل عن فرسه ويقاتل وهو راجلٌ.

وفي الغالب إذا عقر فرس المقاتل أثناء النزال فإنه يصاب بإرباك أو جراحة ما فيسرع إليه الخصم كي يتمكن من قتله.

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٣١. الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص ٦٨. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٢٣٢. قاموس الرجال للتستري: ج ١٠، ص ٦٩. البداية والنهاية لابن كثير: ج ٨، ص ١٩٧. أعيان الشيعة: ج٤، ص ٥٥٥.

ولذلك.. تعدُّ القدرة على الانتقال عن الفرس أثناء عقره من أهم فنون الفروسية التي يمتاز بها الفرسان وبها تظهر جمالية رشاقة الحركة.

ويبدوا أن عاشوراء قد شهدت العديد من هذه المشاهد الفروسية. إلاّ أنّ المشهد الذي تجلت فيه جمالية رشاقة الحركة كان عند قتال أحد أشهر فرسان عصره وهو الحر بن يزيد الرياحي عليه السلام.

فتأمل أخي القارئ: هذا الجمال الأخّاذ في فروسية الحر وشاهد جمالية رشاقة الحركة في قتاله عليه السلام.

قال المؤرخون وأصحاب المقاتل: خرج الحر بن يزيد الرياحي ومعه زهير بن القين يحمي ظهره فكان إذا شد أحدهما واستلحم، شد الآخر واستنقذه ففعلا ساعة. وأن فرس الحر لمضروب على أذنيه وحاجبيه والدماء تسيل منه وهو يتمثل بقول عنترة:

ما زلت أرميهم بثغرة نحره ... ولبانه حتى تسربل بالدم

فقال الحصين ليزيد بن سفيان: هذا الحر الذي كنت تتمنى قتله، قال: نعم، وخرج إليه يطلب المبارزة، فما أسرع أن قتله الحر!

ثم رمى أيوب بن مشرح الخيواني، فرس الحر بسهم فعقره، وشب به الفرس، فوثب عنه كأنه الليث، وبيده السيف، وجعل يقاتل حتى قتل نيفاً وأربعين؛ ثم شدت عليه الرجالة فصرعته.

وحملهُ أصحاب الحسين عليه السلام ووضعوه أمام الفسطاط الذي يقاتلون دونه؛ وهكذا يؤتى بكل قتيل إلى هذا الفسطاط، والحسين عليه السلام يقول:

«قتلة مثل قتلة النبيين وآل النبيين».

ثم التفت إلى الحر وكان به رمق فقال له وهو يمسح الدم عنه :

«أنت الحر كما سمتك أمك، وأنت الحر في الدنيا والآخرة».

ورثاه رجل من أصحاب الحسين، وقيل: علي بن الحسين، وقيل إنها من إنشاء الحسين خاصة:

لنعم الحر حر بني رياح	**صبور عند مشتبك الرماح**
ونعم الحر إذ فادى حسيناً	**وجاد بنفسه عند الصباح**[1]

وفي استشهاده عليه السلام انطفأ في يوم الطف مشهد آخر من مشاهد الجمال؛ لكنه في سجل الأحرار بدا شاخصاً يعلم الأجيال دروساً من الحرية، ويلهم الفرسان فنوناً في الفروسية، وهم يأنسون بذلك الجمال في رشاقة حركته حينما شب به الفرس، أي رفع يديه جميعاً من الأرض، فوثب منه كأنه الليث والسيف بيده. مشهدٌ ظهر فيه جمال الرجولة، والعنفوان، ورشاقة الحركة، وتمرس القتال. وكأنه كما قال الشاعر:

جذلان يملأ منحة وبشاشة	**أيدي العفاة وأعين الزوارِ**
أرج الندى بكره فكأنه	**متنفس عن روضة معطاري**
بطلٌ جرى الفلك المحيط بسرجه	**واستل صارمه يد المقدار**
بيمينه يوم الوغى وشماله	**ما شاء من نار ومن أعصارِ**
والسمر حمر والجياد عوابس	**والجو كاس والسيوف عواري**
والخيل تعثر في شبا شوك	**القنا قصداً وتسبح في الدم الموارِ**[2]

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للسيد المقرم: ص ٢٥٥ – ٢٥٦.

(٢) نفح الطيب في غصن الأندلس الطيب للمقري التلمساني: ج٢،ص٤٧٥.

المشهد الثالث عشر: جمال الوفاء في التفاني حتى الموت

قالوا في اللغة: الفناء هو نقيض البقاء، والفعل: فني يفنى فناء فهو فان[١]. والتفاني هو بذل الجهد حتى حصول الفناء.

وعليه..

فقد بدا مشهد جمالي آخر من مشاهد الجمال في عاشوراء وهو بذل أقصى الجهد في الحب حتى الموت، وبذل أقصى الجهد في الوفاء حتى الموت.

وهذا المشهد الذي تجلى فيه جمال الحب والوفاء حتى الفناء، ظهر بشكل خاص عند استشهاد سعيد بن عبد الله الحنفي وعمرو بن قرظة الأنصاري.

فأما سعيد فإنه تقدم أمام الحسين عليه السلام ومعه زهير بن القين حينما وقف الإمام الحسين يصلي بمن بقي معه من أصحابه صلاة الخوف[٢] فاستهدف لهم، - أي جعل نفسه هدفاً لهم - يرمونه بالنبل يميناً وشمالاً قائماً بين يديه[٣] كلما أخذ الحسين عليه السلام - بالقيام والركوع - قام بين يديه؛ فما زال يرمي به حتى سقط إلى الأرض وهو يقول: اللهم العنهم لعن عاد وثمود، وأبلغ نبيك مني السلام وابلغه ما لقيت مِنْ ألم الجراح، فاني أردت بذلك ثوابك في نصرة ذرية نبيك» والتفت إلى الحسين قائلاً: أوفيت يا ابن رسول الله؟ قال:

نعم أنت أمامي.

في الجنة وقضى نحبه، فوجد به ثلاثة عشر سهما؛ سوى ما به من ضرب

---

(١) كتاب العين للفراهيدي: ج٨، ص ٣٧٦.

(٢) مقتل المقرم: ٢٥٦.

(٣) تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٣٦، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٧١.

السيوف، وطعن الرماح[١].

وأما عمرو بن قرظة الأنصاري فإنه استأذن من الحسين عليه السلام فأذن له، فقاتل قتال المشتاقين إلى الجزاء، وبالغ في خدمة سلطان السماء، حتى قتل جمعاً كثيراً من أحزاب ابن زياد، وجمع بين سداد وجهاد، وكان لا يأتي إلى الحسين سهم إلاّ اتقاه بيده، ولا سيف إلا تلقاه بمهجته، فلم يكن يصل إلى الحسين سوء حتى اثخن بالجراح، فالتفت إلى الحسين وقال: يا ابن رسول الله أوفيت؟. قال: «نعم أنت أمامي في الجنة، فأقرئ رسول الله مني السلام، وأعلمه أني في الأثر»[٢].

وهذا الجمال العاشورائي فريد في وجوده على مرّ التاريخ، وسيبقى فريداً حتى الظهور؛ إذ لم يرَ مثله قط لأنّ الملامح الجمالية التي تكونت منها هذه المشاهد لا تجتمع في موضع آخر. فمن له القدرة أن يأتي بمثل هذا الحب والوفاء وبذل أقصى غاية الجهد حتى الموت وكأنه يزول كما تزول أشعة الشمس رويداً رويداً عندما تؤول إلى الغروب ثم تنطفئ.

ومن له هذا المستوى من الإخلاص في النية، مع تحمل هذه الآلام، والتعرض للطعن والضرب، وهو يقي بنفسه حجة الله، ويرجو في ذلك رضا الله ورضا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

جمال ليس له نظير في الوجود كما عبّر عنه سيد الشهداء عليه السلام:

«إني لا أعلم أصحاباً خيراً ولا أوفى من أصحابي».

---

(١) البحار: ج٤٥، ص٢١، أعيان الشيعة: ج٧، ص٢٤١.

(٢) المقتل للسيد المقرم: ص ٢٥٦ و٢٥٨.

المشهد الرابع عشر: جمال الإيمان بالغيب يتجلّى في الإسراع للشهادة

«المراد بالإيمان هو الاعتقاد، والغيب هو الذي غاب عن الحواس الظاهرة، أي ما وراء الطبيعة، فالروح غيب، وأحوال القبر غيب، والله سبحانه غيب، وهكذا»[١].

وهذا الاعتقاد بالغيب يتجلى جماله في الإسراع إلى الشهادة، لأنها: (أي الشهادة) في سبيل الله قائمة بكل دقائقها على الإيمان بالغيب وما أعد الله تعالى للشهداء من أجر ومقام ونعيم.

فعندما يتسارع الإنسان إلى الشهادة، فهذا يدل على أنه في أعلى درجات الإيمان بالغيب.

ولذلك عندما تحدث القرآن عن صفات المتقين، جعلها أول صفاتهم، قال تعالى:

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[٢].

ولكونهم من أصحاب اليقين فقد تسارعوا إلى الشهادة لنيل ما أعد الله تعالى لهم.

هذه الصورة الجميلة أظهرها عاشوراء بأحسن وجه حينما صلى الحسين

---

(١) تقريب الأذهان إلى القرآن للسيد الشيرازي قدس سره: ج١،ص١٠٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١ ـ ٤.

عليه السلام بمن بقي من أصحابه صلاة الخوف، ولما فرغ عليه السلام قال لأصحابه:

«يا كرام هذه الجنة قد فتحت أبوابها واتصلت أنها رها وأينعت ثمارها، وهذا رسول الله، والشهداء الذين قتلوا في سبيل الله، يتوقعون قدومكم ويتباشرون بكم، فحاموا عن دينه، ودين نبيه، وذبوا عن حرم الرسول».

فقالوا: نفوسنا لنفسك الفداء ودماؤنا لدمك الوقاء، فوالله لا يصل إليك والى حرمك سوء، وفينا عرق يضرب[1].

فكان مشهداً من مشاهد الإيمان بالغيب تجلى فيه جمال الاستبشار بالعاقبة حين لبى هؤلاء المتقون دعوة الحق في يوم عاشوراء.

المشهد الخامس عشر: جمال النزال في تحدي الرجال

إنه مشهد آخر من مشاهد الرجولة الفذة، يتجلى فيه جمال التحدي عند النزال، حينما ينادي المنادي في جموع الرجال والصناديد عن منازل ومبارز فلا يجد أحدا على الرغم من أنّ الحاضرين كانوا آلافاً عديدة! وقد تجهزوا بكل لوازم القتال! إلاّ أنهم وقفوا صامتين وكأنّ الأرض قد أطبقت على أنفاسهم!!.

مشهد هو من حيث الغرابة يدفع بالصمت والحيرة أن تخيم على النفس؛ ومن حيث الجمال فهو يدعو إلى الأنس والسرور لأنّ في أصحاب الحسين عليه السلام رجالاً من نوع فريد على مرّ التاريخ.

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ص ٢٥٧، نقلاً عن أسرار الشهادة: ص١٧٥.

فها هو أحد أولئك الرجال إنّه عابس بن أبي شبيب الشاكري جاء يستأذن الإمام عليه السلام بالخروج إلى النزال فوقف أمامه وقال: «يا أبا عبدالله أما والله ما أمسى على ظهر الأرض، قريب ولا بعيد، أعز علي، ولا أحب إليّ منك، ولو قدرت أن أدفع الضيم عنك بشيء أعز علي من نفسي لفعلت، السلام عليك، أشهد أني على هداك وهدى أبيك! ومشى نحو القوم مصلتاً سيفه، وبه ضربه على جبينه.

قال أبو مخنف، قال ربيع بن نميم - وكان قد شهد يوم عاشوراء -، قال: لما رأيته مقبلاً عرفته، وقد شاهدته في المغازي وكان أشجع الناس، فقلت: أيها الناس هذا أسد الأسود، هذا ابن أبي شبيب لا يخرجن إليه أحد منكم. فأخذ - عابس - ينادي: ألا رجل لرجل؟!! - فلم يجبه أحد ولم يخرج إليه رجل لأنهم فقدوا رجولتهم فأمسكوا عنه -.

فقال عمر بن سعد: أرضخوه بالحجارة. فرمي بالحجارة من كل جانب.

فلما رأى ذلك ألقى درعه، ومغفره، ثم شد على الناس، وأنه ليطرد أكثر من مائتين؛ ثم تعطفوا عليه من كل جانب فقتل.

فتنازع ذوو عدة في رأسه، هذا يقول أنا قتلته، وهذا يقول أن قتلته؛ فأتوا عمر بن سعد فقال: لا تختصموا هذا لم يقتله رجل واحد. وفرق بينهم بذلك[1].

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٣٨. الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٧٣. البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٠٠. مستدركات أعيان الشيعة: ج ١، ص ٦٤، مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ص ١٥٣. الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي رحمه الله: ج ١، ص١٩٦.

المشهد السادس عشر: جمال الحسب في التحرر من عبودية النفس

ذكر أهل اللغة: أن الحسب هو الشرف الثابت في الآباء[(١)]؛ وما يعد من مفاخرهم[(٢)]. وقد جمعت كربلاء في يوم عاشوراء صنفين من الناس؛ صنفاً من الأعراب والموالي وبعض القبائل العربية؛ مثل بني تميم، ومذحج، وكندة، وهوازن، وبني أسد.

وهذه القبائل وغيرها وقفت مع عمر بن سعد لقتال الحسين عليه السلام وقامت بعد انتهاء المعركة بتقطيع الرؤوس وحملها إلى عبيد الله بن زياد كي تتقرب بها إليه، فجاءت هوازن منها باثنين وعشرين رأساً، وجاءت تميم بسبعة عشر رأساً مع الحصين بن نمير، وجاءت كندة بثلاثة عشر رأساً مع قيس بن الأشعث؛ وجاءت بنو أسد بستة رؤوس مع هلال الأعور، وجاءت الأزد بخمسة رؤوس مع عهيمة بن زهير، وجاءت ثقيف باثني عشر رأساً مع الوليد بن عمرو[(٣)].

والصنف الثاني، أي – الذين وقفوا مع الحسين عليه السلام – كانوا من: بني هاشم، وبعض أبناء القبائل العربية التي سكنت الحجاز وكانوا قدموا معه عليه السلام من المدينة، وبعض أبناء قبائل الكوفة وبعض الموالي كـ«جون» مولى أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، وواضح التركي سلام الله عليهم أجمعين.

---

(١) كتاب العين للفراهيدي: ج ٣، ص ١٤٨.

(٢) مجمع البحرين: ج ٢، ص ٤١.

(٣) الأخبار الطوال للدينوري: ص ٢٥٩. تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٥٨، الكامل لابن الأثير: ج ٤، ص٩١. مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ص ٢٣٣. اللهوف لابن طاووس: ص٨٥. الفصول المهمة لابن الصباغ: ج ٢، ص ٨٤٩. شرح إحقاق الحق للمرعشي: ج ٢٣، ص ٦٦١. البحار للمجلسي: ج٤٥، ص ٦٢.

وقد اعتاد العرب على التفاخر بالأنساب والأحساب فيما بينهم حتى في الحروب فإن المقاتل إذا خرج إلى النزال فإنه يرتجز معرفاً بنسبه وحسبه كي يدخل الذعر في قلب الخصم من ناحية؛ ومن ناحية أخرى يختار في ذلك من يكون له كفؤ في النسب والحسب.

وقد يمتنع كثير من المقاتلين عن مبارزة من لا يعرّف بنفسه، أو لم ينتسب؛ ولا يعرفون نسبه كما حدث عند خروج عبدالله بن عمير الكلبي لمبارزة يسّار مولى زياد بن أبي سفيان، وسالم مولى عبيد الله بن زياد.

فقالا له: من أنت؟ فانتسب لهما؛ فقالا: لا نعرفك، ليخرج إلينا زهير بن القين، أو حبيب بن مظاهر، أو برير بن خضير!.

فقال عبدالله بن عمير ليسار مولى زياد بن أبي سفيان وكان واقفاً قريباً منه: يا بن الزانية وبك رغبة عن مبارزة أحد من الناس، وما يخرج إليك أحد من الناس إلاّ وهو خير منك[1].

وهذا المشهد يكشف عن الأمور التالية:

١ - الحالة النفسية لكثير من الموالي الذين التحقوا بهذا الركب - ركب السلطة - كي يعوضوا ما فقدوه من حسب؛ فظنوا أن الوقوف مع الظالمين يسد لهم هذا الفراغ الاجتماعي والنفسي. ولذلك أعرضا عن مبارزته على الرغم من تعريفه بنسبه وحسبه، إلاّ أنهما طلبا خروج ذوي الأحساب المشهورة وأهل الفضل والشرف والجاه الاجتماعي، كزهير بن القين وحبيب بن مظاهر ومقرئ الكوفة برير بن خضير.

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٢٧. الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٦٥. مقتل الحسين عليه السلام: لأبي مخنف: ص ١٢٤.

٢ - إنّ التفاخر بالأحساب في ركب الإمام الحسين عليه السلام اختلف جماله وفحواه، فهو قائم على الإيمان بالله تعالى وحبّ آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتحرر النفس من رق العبودية وانقيادها لأهوائها.

وهذا المشهد المتألق في الحسن والجمال ظهر في موضعين:

الموضع الأول

عند خروج جون عليه السلام، وكان عبداً أسود[1]، فقال له الحسين عليه السلام:

«أنت في إذن مني، فإنّما تبعتنا طلباً للعافية فلا تبتل بطريقنا».

فقال: يا ابن رسول الله أنا في الرخاء ألحس قصاعكم، وفي الشدّة أخذلكم، والله إن ريحي لنتن، وإن حسبي للئيم، ولوني لأسود، فتنفّس عليّ بالجنة، فتطيب ريحي ويشرف حسبي ويبيضّ وجهي، لا والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدّم الأسود مع دمائكم. - ثم خرج يقاتل -، وهو ينشد ويقول:

كيف يرى الكفّار ضرب الأسود ... بالسيف ضرباً عن بني محمد

أذب عنهم باللسان واليد ... أرجو به الجنة يوم المورد

فقاتل حتى قتل، فوقف عليه الحسين عليه السلام، وقال: «اللهم بيض وجهه، وطيب ريحه، وأحشره مع الأبرار، وعرف بينه وبين محمد وآل محمد»[2].

---

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٤٥١.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٢٣. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: ص ٢٦٦. لواعج الأشجان للسيد محسن الأمين: ص ١٤٩. معالم المدرستين للعسكري: ج ٣، ص١٢٠. مستدركات علم الرجال للشاهرودي: ص ٢٤٥. أعيان الشيعة: ج ١، ص٦٠٥.

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام، عن علي بن الحسين عليهما السلام:

«أنّ الناس كانوا يحضرون المعركة ويدفنون القتلى، فوجدوا جوناً بعد عشرة أيام يفوح منه رائحة المسك»[١].

فكان هذا الحسب الذي توسمه جون الزنجي عليه السلام أرفع شأناً وأسمى شرفاً من الحسب الذي كان لعمر بن سعد بن أبي وقاص القرشي، فهذا مخزيٌ في الدنيا والآخرة، وذاك مشرفٌ في الدنيا والآخرة.

ولذلك:

دأبتْ مدرسة العترة المحمدية صلوات الله عليهم أجمعين على تثبيت هذا الجمال والسمو الإنساني في أذهان الناس، سواء أكان في كربلاء، أم في غيرها من الأماكن، وإن اختلفت الأزمنة والأمكنة والوقائع.

فقد أخرج الشيخ الكليني رضي الله عنه، عن عقبة بن بشير الأسدي، قال، قلت لأبي جعفر عليه السلام: أنا عقبة بن بشير الأسدي، وأنا في الحسب الضخم من قومي.

قال، فقال - عليه السلام -:

«ما تمن علينا بحسبك، إنّ الله رفع بالإيمان من كان الناس يسمونه وضيعاً إذا كان مؤمناً، ووضع بالكفر من كان الناس يسمونه شريفاً إذا كان كافراً، فليس لأحدٍ فضل على أحد إلا بالتقوى»[٢].

---

(١) بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٢٣.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٣٢٨.

الموضع الثاني لظهور جمال الحسب

هذا الموضع تجلى فيه الجمال والحسن، حينما برز للقتال عمرو بن جنادة، وهو ابن إحدى عشرة سنة[١]، وهو شاب قتل أبوه في المعركة، وكانت أمه معه، فقالت له أمّه: أخرج يا بني وقاتل بين يدي ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فخرج. فقال الحسين عليه السلام:

«هذا شاب قتل أبوه في المعركة، ولعل أمه تكره خروجه».

فقال الشاب: أمّي أمرتني بذلك، فأذن له الإمام الحسين عليه السلام.

وحيث أن العرب عندما تخرج إلى القتال تنتسب إلى قومها، وتفاخر بحسبها. إلاّ أنّ هذا الشاب رأى أنّ جمال الحسب، كل الحسب في الانتساب إلى ركب الإمام الحسين عليه السلام والإئتمام به فقد خرج وهو يقول مخاطباً هذه الجموع من الناس:

أميري حسينٌ ونعم الأمير	سرور فؤاد البشير النذير
علي وفاطمة والداه	فهل تعلمون له من نظير

فقاتل حتى قتل، وحزّ رأسه ورمي إلى عسكر الحسين عليه السلام[٢].

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للسيد المقرم: ص ٢٦٤.

(٢) فحملت أمه رأسه، وقالت: أحسنت يا بني يا سرور قلبي ويا قرة عيني، ثم رمت برأس ابنها رجلاً فقتلته، وأخذت عمود خيمته وحملت عليهم وهي تقول:

أنا عجوز سيدي ضعيفة	خاوية بالية نحيفة
أضربكم بضربة عنيفة	دون بني فاطمة الشريفة

(بحار الأنوار:ج ٤٥، ص ٢٨. مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج٣،ص٢٥٣. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: ص ٢٧١. أعيان الشيعة: ج١، ص٦٠٧).

إنّه مشهد أسس في المجتمع المسلم منهجاً جديداً للتعايش العرقي القائم على إذابة الطبقية الناشئة من التفاخر على حساب أمجاد الآباء.

وإن الفخر كلّ الفخر بما يكسبه المرء من تقوى وصلاح. سواء أكان من العرب أم من غيرهم، أبيض اللون أم أسوده وأنّ حسبه في موالاته واتباعه لأهل الصدق ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾[١].

المشهد السابع عشر: جمال الإنسانية في إغاثة الملهوف

من أبرز الصفات الدالة على تخصيص الإنسان بـ «الإنسانية» هي الغوث من الإغاثة وهي الإعانة والنصرة عند الشدة[٢].

ولأهميتها الكبيرة في الدلالة على إنسانية الإنسان فقد تناولها القرآن في الإشارة إلى أنها أحد الملكات النفسية التي يتصف بها أهل العصمة، وهم الأنبياء والمرسلون والأئمة عليهم السلام.

قال تعالى في محكم كتابه وهو يشير إلى جانب من هذه الإغاثة في قضية موسى عليه السلام حينما استغاث به أحد شيعته، قال عزّ من قائل:

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَـٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَـٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَـٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾[٣].

---

(١) سورة التوبة، الآية ١١٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ج٤، ص٤٠١.

(٣) سورة القصص، الآية ١٥.

وهنا.. تظهر هذه الملكة النفسية، الكاشفة عن إنسانية المغيث، بأنها أحد الصفات الملازمة لذوي المكارم، وقد أشارت مجموعة من الأحاديث الشريفة إلى دور هذه الصفة الإنسانية في حفظ الإنسان ودفع الضرر عنه سواء في نفسه أو ماله أو عرضه. وأشارت أيضاً إلى دورها في تعزيز الروابط الاجتماعية، وتدعيم أطر المحبة.

نورد بعضاً منها:

١ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«من أغاث ملهوفاً كتب الله له ثلاثاً وسبعين حسنة، واحدة منها يصلح آخرته ودنياه، والباقي في الدرجات»(١).

٢ - وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن من موجبات المغفرة: إدخالك السرور على أخيك المسلم، واشباع جوعته، وتنفيس كربته»(٢).

٣ - قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«من كفارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف، والتنفيس عن المكروب»(٣).

---

(١) الرسالة السعدية للعلامة الحلي: ص ١٦٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) شرح نهج البلاغة بشرح محمد عبده: ج ٤ ، ص ٧.

٤ - قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«الذنوب التي تنزل البلاء: ترك إغاثة الملهوف، وترك معاونة المظلوم، وتضييع الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر»[1].

٥ - وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أي العمل أفضل؟ قال:

«أن تدخل على أخيك المسلم سروراً أو تقضي عنه ديناً، أو تطعمه خبزاً»[2].

وليس هناك أعظم سروراً من أن يجد المسلم من يغيثه حينما يستغيث.

٦ - وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

«أفضل المعروف إغاثة الملهوف»[3].

ولذلك أظهرت عاشوراء صوراً عديدة لتجلي جمال الإنسانية في إغاثة الملهوف؛ فكان بعضها يتحدث عن جمال إنسانية أصحاب الحسين وأهل بيته عليهم السلام، وهم ينصرون مظلوم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم. والبعض الآخر تحدث عن سرعة إغاثة الحسين عليه السلام لمن يستغيث به من أصحابه وأهل بيته؛ فمنهم من لحق به وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، كمسلم بن عوسجة، وواضح التركي، ومولاه أسلم، وأخيه العباس بن أبي طالب عليهم السلام.

ومنهم من فاضت روحه الطاهرة حين وصل إليه الإمام الحسين عليه

(١) معاني الأخبار للشيخ الصدوق رحمه الله: ص ٣٧١.

(٢) الرسالة السعدية: ص ١٦٤.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ٤١٦.

السلام، كالقاسم ابن الإمام الحسن المجتبى عليهما السلام[(١)].

هذه الصورة في جمال الإنسانية عكست في نفس الوقت القبح الإنساني في المعسكر الآخر. بل دلت على عدم وجود ما يتصف به الإنسان من كونه إنساناً. حينما كان الإمام الحسين عليه السلام يستغيث بعد مقتل أصحابه وأهل بيته عليهم السلام فلا يجد جواباً! لأنهم تحولوا إلى صنف آخر، ظاهرهم من البشر وباطنهم كل افاك أثيم أشر.

ومن بين تلك الصور الجميلة برز مشهدٌ في غاية الحسن وسمو الإنسانية. حينما صرع واضح التركي مولى الحرث المذحجي، وقد استغاث بالحسين فأتاه أبو عبدالله عليه السلام واعتنقه، فقال:

«من مثلي وابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واضع خده على خدي». ثم فاضت روحه الطاهرة[(٢)].

مشهد يأسر القلب بحسنه وبهائه، ويأخذه بعيداً عن عالم لم يعد للإنسانية فيه وجود سوى أشباح تظهر ها هنا مرة، ومرة تختفي هناك.

---

(١) وقف الإمام عند رأسه وهو يفحص برجليه! والحسين يقول: بعداً لقوم قتلوك، خصمهم يوم القيامة جدك. ثم قال: عزّ والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك ثم لا ينفعك، صوت والله كثر واتره وقل ناصره؛ ثم احتمله وكان صدره على صدر الحسين عليهما السلام، ورجلاه يخطان في الأرض، فالقاه مع علي الأكبر، وقتلى حوله من أهل بيته. (مثير الأحزان لابن نما الحلي: ص ٥٢. إقبال الأعمال لسيد ابن طاووس: ج٣، ص٧٥. بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٦٧. تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٤١).

(٢) أبصار العين للسماوي رحمه الله: ص ٩٦، ط مركز الدراسات الإسلامية بقم. أعيان الشيعة: ج ٣، ص ٣٠٣. مقتل الحسين للمقرم: ص ٢٥٩.

المشهد الثامن عشر: جمال سمو النفس في التواضع

دأبت مدرسة عاشوراء الحسين عليه السلام على إظهار الفضائل الأخلاقية، وتجليها بأجمل صورة وأبهى حلة، تشد الناظر إليها، وتسحره بحسن ملامحها، وبهاء هيئتها، فكان من بينها تجلي جمال التواضع المتألق من سمو نفس الإمام الحسين عليه السلام. والتواضع كما يعرفه علماء الأخلاق هو: «أن لا تجعل لنفسك مرتبة على من هو دونك في الجاه علوا»[1].

وقد جاء بعض الأحاديث لتعرف المسلم على أهمية التواضع وفضله، وأثره في حفظ المودة بين أفراد المجتمع، لأنه يدعو إلى الألفة وإدخال السرور على قلب المؤمن، فكانت كالآتي:

١ - قال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام:

«لكل شيء مطية ومطية العقل التواضع»[2].

٢ - عن محمد بن مسلم قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يذكر أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ملك، فقال:

«إن الله يخيرك أن تكون عبداً رسولاً متواضعاً، أو ملكاً رسولاً. قال: فنظر إلى جبرائيل وأومأ بيده أن تواضع؛ فقال: عبداً متواضعاً رسولاً؛ فقال الرسول[3] مع أنه لا ينقصك مما عند ربك شيئاً؛ قال: ومعه مفاتيح خزائن الأرض»[4].

---

(١) مقدمة في علم الأخلاق للسيد كمال الحيدري: ص ٦٦.

(٢) الكافي للشيخ الكليني رحمه الله: ج ١، ص ١٠.

(٣) أي: الملك الذي أتى إلى النبي.

(٤) الوسائل: ج ١٥، ص ٢٧٣، برقم ٢٠٤٩٦.

٣ - وعن الرضا عليه السلام قال:

«التواضع درجات منها أن يعرف المرء قدر نفسه، فينزلها منزلتها بقلب سليم، لا يحب أن يأتي إلى أحد إلا مثل ما يؤتى إليه، أن رأى سيئة درأها بالحسنة، كاظم الغيظ، عاف عن الناس، والله يحب المحسنين»[1].

٤ - وعن الحسن بن الجهم قال سألت الرضا عليه السلام:

«فقلت له جعلت فداك ما حد التوكل؟ فقال لي:

أن لا تخاف مع الله أحداً.

قال، قلت: جعلت فداك، فما حد التواضع؟ فقال:

أن تعطي الناس من نفسك ما تحب أن يعطوك مثله.

قلت جعلت فداك: أشتهي أن أعلم كيف أنا عندك؟ فقال:

أنظر كيف أنا عندك»[2].

وعند الدخول إلى مدرسة عاشوراء لمشاهدة صور الجمال التي تجلت فيها الفضائل؛ نجد أن الحسين عليه السلام في الوقت الذي مشى فيه إلى ولده علي الأكبر، وأخيه العباس، وبقية شهداء بني هاشم، فهو في نفس الوقت ذهب عليه الصلاة والسلام إلى واضح التركي واعتنقه، ومشى كذلك إلى أسلم مولاه واعتنقه وكان به رمق فتبسم وافتخر بذلك، ومات رضي الله عنه.

(١) الوسائل: ج ١٥، ص ٢٧٤، برقم ٢٠٤٩٨.

(٢) الوسائل: ج ١٥، ص ٢٧٤، برقم ٢٠٥٠٠.

والفرق بين ذهابه عليه السلام إلى واضح التركي مولى الحرث المذحجي، وبين مشيه إلى أسلم مولاه، هو أن واضحاً استغاث به عليه السلام فلبّى استغاثته وادخل السرور على قلبه، فكان كاشفاً عن جمال إنسانيته عليه السلام.

وأما ذهابه إلى أسلم.. فهو كاشف.. عن سمو نفسه المقدسة وجمال تواضعه لأن أسلم لم يستغيث به.

ولذلك.. مَنْ، مِنَ القادة والمصلحين له هذا السمو والرفعة؟! وكم واحداً منهم ينحني لمولى عنده فيعانقه ويضع خده على خده ويساوي بينه وبين ولده في هذا الصنيع؟!.

أنه مشهد تفرد في ظهوره العاشورائي، وهو مشهد يتجدد فيه الجمال بتجدد ظهور القيم الأخلاقية والكمالات النفسانية وتعددها التي أرسى قواعدها الإمام الحسين عليه السلام في نبع الحياة.

المشهد التاسع عشر: جمال القرابة في دفع الهوان عن القريب

من المشاهد الاجتماعية التي ظهرت في عاشوراء، كان مشهد القرابة الذي تجلى فيه بقوة جمال دفع الهوان[١] عن القريب.

والقرابة والقربى: الدنو في النسب، والقربى في الرحم[٢]. وأقرب القرابة هم العمومة وأبناؤهم. وقد أظهرت مدرسة عاشوراء صورة فريدة في تلاحم أبناء العمومة، حينما لبوا جميعهم نداء الرحم ودفعوا عن ابن عمهم كل ما يدعو إلى هوانه. لأنّ عزّه عزهم، وهوانه هوانهم.

---

(١) الهون والهوان: نقيض العزّ. «لسان العرب: مادة «هون».

(٢) لسان العرب: ج ١، ص ٦٦٥، مادة قرب.

وكم نحن اليوم بحاجة إلى هذا النموذج التربوي الاجتماعي بعد أن أصبحت في الوقت الحاضر هذه الروابط القرابية لا تحمل من العناوين سوى الأسماء؛ بل قد أصبحت هذه الأسماء (كابن، العم، وابن العمة، وابن الخال، والخالة) عناوين للخصومة والمشاحنات فقط.

والعلة في ذلك:

هي أن هذه الأسر بدأت تأخذ نماذج قرابية غريبة عن الواقع الإسلامي، من خلال الثقافات الهجينة التي غزت المجتمعات الإسلامية بعد فتحها لقنوات الاتصال والاحتكاك بهذه الثقافات دون أن تتمسك بتلك القيم العربية والثوابت الإسلامية. فوجدت هذه الثقافات أجواء فكرية مكشوفة لخلوها من التحصين الفكري والثقافي الإسلامي.

ولذلك..

نحن اليوم بأمس الحاجة إلى ملءْ الأسر المسلمة بالثقافة الإسلامية، والمناهج التربوية والاجتماعية المستمدة من حياة العترة النبوية الطاهرة عليهم السلام؛ بوصفها الجانب العملي والتطبيقي للقرآن الكريم.

ولاسيما مدرسة الإمام الحسين عليه السلام وبالأخص المدرسة العاشورائية. لأنها جمعت كلّ مكونات الأسرة المسلمة، وما يحيط بها من روابط قرابية واجتماعية، وما ترتب عليها من حقوق وواجبات في الأصعدة كافةً، كالشرعية، والفكرية، والتربوية، والسياسية، والاقتصادية، والعسكرية، بصنفيها الدفاعي والهجومي، وغيرها من مجالات الحياة الإنسانية التي تعيشها الأسرة.

بل.. ليجد الباحث، والمفكر، والدارس، في جميع أبواب المعرفة، مبتغاه ومادته البحثية في مدرسة العترة الطاهرة عليهم السلام؛ وقد لا نبالغ إن قلنا: إن في عاشوراء شواهد لجميع المعرفة التي يقصدها طلاب العلم في المؤسسات العلمية والجمعيات الأكاديمية والفكريّة.

ومن هنا: ظهرت رابطة القرابة القريبة المتمثلة بأبناء العمومة في أجمل صورها وأحسن هيئاتها حينما وقفوا كرجل واحد على دفع الهوان عن ابن عمهم؛ لدرجة أن الإمام الحسين عليه السلام لما رأى حميتهم، وتحرك رحمهم، وكأنه برق سرى في عروقهم الهاشمية، وتسارعهم إلى الشهادة، ناداهم قائلاً:

«صبراً على الموت يا بني عمومتي، والله لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم»[١].

فوقع فيهم عون بن عبدالله بن جعفر الطيار ابن أبي طالب عليهم السلام، وأمه العقيلة زينب بنت علي أمير المؤمنين عليه السلام، وأخوه محمد وأمه الخوصاء؛ ومن أبناء عقيل بن أبي طالب عليهما السلام وقع عبدالرحمن، وجعفر عليهم السلام؛ ومن أبناء مسلم بن عقيل بن أبي طالب، وقع محمد، وكان أخوه عبدالله قد استشهد قبلهم جميعاً[٢].

فكانت صورة خاصة تجلى جمالها في المظهر الاجتماعي والأسري حينما لبى أبناء العمومة نداء العزّة ودفع الهوان عن القريب.

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم رحمه الله: ص ٢٧٤. نقلاً عن: ابن جرير في تاريخه: ج٦، ص٢٥٦. والخوارزمي في المقتل: ج ٢، ص ٧٨. والسيد ابن طاووس في اللهوف: ص ٦٤.

(٢) مقتل الإمام الحسين للمقرم: ص ٢٧٤.

المشهد العشرون: جمال الشجاعة في كبر النفس

غالباً ما يتبادر إلى ذهن الإنسان عند سماعه للفظ «الشجاعة» هو الحرب، أو العراك، أو بشكل عام تحدي الخوف في جميع الظروف التي تواجه الإنسان.

وهي، أي الشجاعة – كما عرفها ابن منظور –: شدة القلب في البأس، والبأسُ: الشدة في الحرب. وقيل البأسُ: هو العذاب[1].

والشجاعة عند علماء الأخلاق هي: «إطاعة القوة الغضبية للعاقلة في الإقدام على الأمور الهائلة، وعدم اضطرابها بالخوض فيما يقتضيه رأيها حتى يكون فعلها ممدوحا، وصبرها محمودا»[2]. وهي: «أحد أمهات المحاسن الأخلاقية وأصولها الأساسية وقد تفرع منها فروع ناشئة منها راجعة بحسب التحليل إليها؛ وهي: «كبر النفس، والنجدة، وعلو الهمة، وثبات الهمة، والحلم، والسكون، والصبر، والتواضع»[3].

وهذه الفروع وإن كانت كلها داخلة تحت أصل الشجاعة إلاّ أنّ كبر النفس أكثرها دلالة عليها. وإن جمالها ليتجلى فيه.

فهو: «الاستهانة باليسير، والاقتدار على حمل الكرائه والهوان، فصاحبه أبداً يؤهّل نفسه للأمور العظام حتى مع استخفافه لها»[4].

وهذا المعنى التحليلي النفسي، والأخلاقي، ترجم إلى معنى عملي في ساحة

---

(١) لسان العرب: ج ٦، ص ٢٠، مادة «بأس».

(٢) جامع السعادات للنراقي: ج ١، ص ٦٩.

(٣) مقدمة في علم الأخلاق للسيد كمال الحيدري: ص ٦٣ – ٦٤.

(٤) نفس المصدر.

الطف، بهيئة تشد الأنظار إليها على كرور الليالي والأيام.

إذ من الطبيعي أن يتصف الفرسان الذين خبروا الحرب وعاشوا معتركها وواكبوا خطوبها بالشجاعة وبكبر النفس عند الأهوال؛ لأن هؤلاء الفرسان قد تأهلوا لحمل الأمور العظام حتى استخفوها.

ولكن أن ترى غلاماً لم يبلغ الحلم يحمل من الشجاعة، وكبر النفس بمستوى ندر أن يقوم به الفرسان! فهذا هو الجمال بعينه، وهذه هي النفس الكبيرة التي احتضنها القاسم بين جنبيه لتتجلى أول ملامح جمالها حين خرج إلى المعركة فارتجز قائلاً:

إن تنكروني فأنا نجل الحسن ... سبط النبي المصطفى والمؤتمن

هذا حسين كالأسير المرتهن ... بين أناس لا سقوا صوب المزن[(١)]

فكان هذا الصوت المدوي يسير جنباً إلى جنب مع صارمه الذي يضربهم به، فقاتل قتالاً شديداً حتى قتل على صغره خمسة وثلاثين رجلاً[(٢)] ليظهر للتأريخ ثاني ملامح جمال شجاعته، حينما أطرق مسامع أعدائه بهذا الصوت المحمدي.

حتى إذا وقف ليشد شسع نعله الذي انقطع وهو يقاتلهم غير آبه مما حوله من العسكر فكبر نفسه أعظم من هذه الجيوش ورباطة جأشه أصلب من صحائف السيوف التي بدت في ناظره أهون من شسع نعله المقطوع، ولذا انحنى يصلحه وهذا هو السبب الأول.

---

(١) العوالم للبحراني: ص ٢٧٨. معالم المدرستين للعسكري: ج ٣، ص ٣١٥. لواعج الأشجان للسيد محسن الأمين: ص ١٧٥.

(٢) البحار للمجلسي: ج ٤٥، ص ٣٤.

وثانياً؛ ليعيد إلى الأذهان المعنى الذي قدمه أمير المؤمنين عليه السلام في تقييمه للخلافة – التي تكالب عليها البعض – واستهانته بها. قال عبدالله بن عباس: دخلت على أمير المؤمنين بذي قار وهو يخصف نعله، فقال لي:

ما قيمة هذه النعل؟

فقلت: لا قيمة لها. قال:

والله لهي أحب إلي من إمرتكم إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً[1].

فكان انحناء القاسم لإصلاح نعله في المعركة هو تجسيداً لهذا المعنى. أي أن هذه الخلافة التي تقتلون من أجلها أولاد الأنبياء هي عندنا أهون من شسع هذا النعل المقطوع.

ولذلك علموا مقصود فعله وفهموا فحوى عمله فاستشاطوا غيظاً وعزموا على اثكال عمه الحسين عليه السلام فانعطف عليه من لا يجد في غير ظهور الفرسان فرصة للقتل فضربه على رأسه.

لكن الغادر لم يستطع بشفير سيفه أن يمحو ملامح جمال شجاعة القاسم حين هوى على صعيد كربلاء يرسم بدمه مشهداً من مشاهد العزة والحياة. مشهداً زخر بالقيم الإنسانية والفضائل الأخلاقية التي تجلت في ساحة الطف فكان من بينها جمال الشجاعة وكبر النفس الذي تجاوز حد الخيال حين نحر غلام لم يبلغ الحلم وهو يدافع عن قيم السماء.

---

(١) نهج البلاغة: ج ١، ص ٨٠. البحار للمجلسي: ج ٣٢، ص ٧٦. مجمع البحرين للطريحي: ج ٣، ص٥٥٩، مكتب النشر الثقافة الإسلامية. أصل الشيعة وأصولها للشيخ كاشف الغطاء: ص١٩٣، نشر مؤسسة الإمام علي عليه السلام. دراسات في ولاية الفقيه للشيخ المنتظري: ج ٢، ص٦٣.

المشهد الحادي والعشرون: جمال الأبوة في عاشوراء

ذكر المؤرخون وأصحاب تدوين مقتل الإمام الحسين عليه السلام، الحالة التي كان عليها الإمام الحسين عليه السلام عند خروج ولده علي الأكبر عليه السلام، بوصف فاق كل تصور عن الحس الوجداني لهذه اللحظات!.

ومن يملك مثل وجدان المعصوم وعاطفته الأبوية؟!

وصف بدا فيه الجمال يزهو ويتسامى كتسامي صاحبه، وعلو نفسه. ولكن أي جمال هو الذي بدا على الحسين عليه السلام وهو الوالد عند خروج ولده للموت؟!.

إنه جمال الحزن في عين أبٍ لم يجد في قواه ما يعينه على حبس الدمع، فانهدر كحبات لؤلؤ منظوم بآهاتٍ وزفرات لوالد مفجوع، فهوت على صدره، كعقدٍ لا للتزين صنع؛ ولكن ليسند القلب في دقاته. فقد كاد يقف مع آهاته ليرافق الابن في خطواته.

منادياً: بني علي، القلب أنت في نبضاته.. بني قلبي تسجى مذ بدا منك الخروج للخصم وملاقاته.

آه، ثم ألف آه، وألف؛ على شبيه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كيف للترب أن يعلو وجناته؟!

جمالٌ ما بعده جمال بدا على والدٍ مفجوعٍ.. جمال لا يراه إلا من كان إنساناً في محتواه.

ولذلك وصف أصحاب المقاتل حال الحسين عليه السلام بهذه الكلمات المؤلمة عند خروج علي الأكبر عليه السلام: «لم يتمالك الحسين عليه السلام دون

أن أرخى عينيه بالدموع وصاح بعمر بن سعد: مالك؟ قطع الله رحمك كما قطعت رحمي، ولم تحفظ قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسُلّطَ عليك من يذبحك على فراشك.

ثم رفع شيبته المقدسة نحو السماء، وقال: اللهم اشهد على هؤلاء فقد برز إليهم أشبه الناس برسولك محمد خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً وكنا إذا اشتقنا إلى رؤية نبيك نظرنا إليه، اللهم فامنعهم بركات الأرض، وفرقهم تفريقاً، ومزقهم تمزيقاً، واجعلهم طرائق قدداً، ولا ترضِ الولاة عنهم أبدا، فإنهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلونا، ثم تلا قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[(١)] [(٢)].

المشهد الثاني والعشرون: جمال الأخوة في النصيحة

يمكن فهم هذا الجمال ورؤياه من خلال زيارة أبي الفضل عليه السلام؛ إذ كشفت الكلمات التي وردت عن الإمام الصادق عليه السلام في الزيارة عن هذا الجمال الذي تجسد بواقع محسوس وملموس من خلال تلك المواطن التي ظهر فيها الجمال وشخّصها حديث الإمام الصادق عليه السلام.

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٣٣ – ٣٤.

(٢) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للمقرم رحمه الله: ص ٢٧١. البحار للمجلسي: ج ٤٥، ص ٤٣. اللهوف لابن طاووس: ص ٦٧. المجالس الفاخرة للعلامة السيد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله: ٢٤٢، ط مؤسسة المعارف. لواعج الأشجان للسيد محسن الأمين: ص ١٦٩. مقتل الخوارزمي: ج٢، ص ٣٠.

فكل فضيلة أخلاقية أو كمال نفسي لابد أن يكون له ظهور أو تجلٍّ تراه العيون وتنقاد له العقول.

وهنا: قد تختلف المداليل بين الجمال المحسوس والمدرك إلاّ أن حقيقته واحدة وهي الأنس القلبي.

فالقلب هو الذي يقرر هذا الجمال، وهو القادر على إدراك تلك التجليات التي يراها المخلصون والعارفون؛ وهو الوحيد الذي يشخص ما تراه العيون فإما النفرة، وإمّا الأنس.

ولذلك، ظهر جمال الأخوة في عاشوراء في ثلاث ركائز هي: «الناصح، والمواسي، والمدافع» لتشكل هرماً حصيناً بدا في غاية المتانة والرصانة والحسن.

الركيزة الأولى: النصح

قال عليه السلام:

«أشهد لقد نصحت لله ولرسوله ولأخيك»[(١)].

وهنا يشير الإمام الصادق عليه السلام إلى صفة خاصة امتاز بها العباس بن علي عليهما السلام، وأن هذه الصفة لا تكشف فقط عن جمال أخوته للحسين عليهما السلام؛ وإنما تكشف عن رتبته الإيمانية؛ وتكشف أيضاً عن السبيل الذي أوصله إلى هذا المقام الرفيع والدرجة السامية.

والنصح في اللغة: هو الخلوص.

قال الأصمعي: الناصح الخالص من العسل وغيره، مثل الناصع، وكل

---

(١) ضياء الصالحين: ٢٣٢.

شيء خلص فقد نصح[١].

وقال الزبيدي: النصح، والنصيحة، والمناصحة: إرادة الخير للغير وإرشادهُ له.

وفي النهاية لابن الأثير: النصيحة، كلمة يعبر بها عن جملة، هي: إرادة الخير للمنصوح له، وليس يمكن أن يعبر عن هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناها غيرها.

وقال الخطابي: النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له؛ قال، ويقال: هو من وجيز الأسماء ومختصر الكلام، وأنه ليس في كلام العرب كلمة مفردة تستوفي بها العبارة عن معنى هذه الكلمة.

وقال: النصح الخلوص مطلقاً، والنصيحة كلمة جامعة، مشتقة من مادة (ن-ص-ح) الموضوعة لمعنيين، أحدهما الخلوص والنقاء، والثاني الالتئام والرفاء[٢].

ومن هذا المعنى اللغوي اتضح أن المراد من قول الإمام الصادق عليه السلام وشهادته لأبي الفضل بأنه: نصح لله ولرسوله ولأخيه، هو: أنه خلص لله ولرسوله ولأخيه. بل إنه عليه السلام قد بالغ في النصح لقول الصادق عليه السلام:

«وأشهد أنك قد بالغت في النصيحة وأعطيت غاية المجهود».

فكان هذا الإخلاص أحدى الركائز التي تشكل منها مفهوم جمال الأخوة في عاشوراء.

---

(١) **الصحاح**: ج ١، ص ٤١٠.

(٢) **تاج العروس**: ج ٤، ص ٢٣٠ - ٢٣٣.

الركيزة الثانية: المواسي

قال عليه السلام: «فنعم الأخ المواسي لأخيه».

قالوا في اللغة: واسيته، أي: عزيته.

والأُسوة، والإِسوة بالكسر والضم، لغتان، وهي ما يأتسي به الحزين.

وسمي الصبر: أسن؛ والأسوة: أي القدوة، ولي في فلان أسوة: أي قدوة إئتمام[1].

ومن هذا المعنى: يتضح أن العباس عليه السلام كان نعم العزاء الذي يتعزى به الحسين عليه السلام في يوم محنته وحزنه.

وله معنى آخر يظهر من البيان اللغوي الذي مرّ، وهو أن العباس عليه السلام كان نعم من يتصبّر به الحزين على حزنه.

وفضلاً عن ذلك فإن كلام الإمام الصادق عليه السلام يشير إلى حقيقة احتضنتها مفردة «المواسي لأخيه».

وهي: أن هذا التأسي والصبر والعزاء منبعه هو الحسين عليه السلام، بمعنى: أن هذه المنقبة الخاصة أُخذت من الإمام الحسين عليه السلام لأنه كان الإمام والقدوة التي اقتدى بها العباس عليه السلام؛ لأن الأسوة: هي القدوة.

الركيزة الثالثة: الدافع

قال عليه السلام: «والأخ الدافع عن أخيه».

وهنا: يشير الإمام الصادق عليه السلام إلى الركيزة الثالثة التي تكوّن منها

(١) الصحاح للجوهري: ج ٦، ص ٢٢٦.

مفهوم جمال الأخوة في عاشوراء.

ويمكن فهم معنى هذه الخصوصية من خلال ما أفاده أهل اللغة في بيانهم لمفردة: «الدفع» فـ: دافع عنه ودفع، بمعنى: دافع الله عنك السوء دفاعاً؛ واستدفعت الله الأسواء، أي طلبت منه أن يدفعها عني[١].

والمعنى الجميل الذي ورد في بيان أهل اللغة أنّ الدفاع: هو الشيء العظيم الذي يدفع به العظيم مثله[٢].

أي: أنه عليه السلام كان يدفع عن أخيه الشيء العظيم وأن حجم هذا الدفاع يمكن معرفتهُ من خلال نفس الشيء الذي دفع. وهو هذا الجيش الجرار الذي بلغ تعداده أكثر من ثلاثين ألفاً يقابلون ثمانية عشر من بني هاشم واثنين وسبعين من أصحاب الحسين عليه السلام.

وهناك معنى آخر عند أهل اللغة: وهو أن «المدافع» هو: الأسد[٣].

وهذا المعنى يكشف عن صورة جمالية خاصة في جانب من جوانب الأخوة التي امتاز بها العباس عليه السلام وهي: أنه دفع عن أخيه تلك المسوخ البشرية وما يلف بها من مناظر موحشة ووجوه مقفرة، كما يدفع الأسد عن المكان الذي يرى فيه جميع أصناف البهائم والوحوش، فلا يجرؤ أحد منها على الاقتراب؛ وكذلك كان حال الأعداء في يوم الطف فقد دافع العباس عن أخيه عليهما السلام وكأنه الأسد الذي لم يرهبه شيء، بل دفع عن أخيه كل شيء فيه ضرر.

---

(١) تاج العروس للزبيدي: ج ١١، ص ١١٥ - ١١٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) تاج العروس: ج ١١، ص ١١٥ - ١١٨.

ولما كان هذا المعنى حاضراً في وجوده عليه السلام، فكم يكون حجم المصيبة والأسى والحزن في فقده؟! وكم يكون حجم الخلة والفراغ الذي تركه باستشهاده عليه السلام؟!.

ولأجله قال الحسين عليه السلام:

«الآن قد انكسر ظهري، وقلة حيلتي، وشمت بي عدوي».

فكان جمالاً تجلى مفهومه وحسنه في تلك الكلمات التي فاضت من قلب الإمام الحسين عليه السلام، حين وقف على أخيه وهو مخضب بدمائه وقد تفانى في: «النصيحة، والمواساة، والمدافعة» لأخيه، ليرسم صورة من الأخوة الفريدة في الوجود الإنساني.

المشهد الثالث والعشرون: جمال الغربة في الحنين إلى الأهل والأصحاب

من البديهي أن لا يحب الإنسان الغربة ولا يسعى إليها إلاّ مضطراً؛ فهي كما قيل: «إن الغربة كربة»[1].

وقال الشاعر:

حسنوا القول وقالوا غربة ... إنما الغربة للأحرار ذبح[2]

وقد تغرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبعد عن وطنه ومسقط رأسه ودار أهله وعشيرته وحبس في شعب أبي طالب عليه السلام، فعانى آلام الغربة وهو في وطنه.

---

(١) تفسير الآلوسي: ج ١٢، ص ١٩١ - تفسير سورة يوسف.

(٢) نفس المصدر السابق.

ومن تغرّب من أهل البيت عليهم السلام الإمام الحسين عليه السلام، والإمام موسى بن جعفر عليه السلام، والإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام وبقية الأئمة من ولد الرضا عليهم السلام أجمعين.

إلاّ أنّ الغربة التي يتأسى بها المغتربون هي غربة الإمام الحسين عليه الصلاة والسلام، إذ لم يتجرع مغترب من الألم كما تجرعه الإمام الحسين عليه السلام. وبخاصة تلك اللحظات التي أصبح فيها وحيداً وقد أحاطت به السيوف والرماح والسهام من كل جانب.

ولذلك.. كان الإمام الباقر عليه السلام يصبّر مواليه وشيعته الذين تغربوا؛ بالتأسي بغريب كربلاء عليه السلام.

قال محمد بن مسلم: خرجت إلى المدينة وأنا وجع ثقيل، فأرسل إليّ أبو جعفر عليه السلام شراباً مع غلام، مغطى بمنديل فناولنيه الغلام، وقال لي: أشربه فإنه قد أمرني أن لا أبرح حتى تشربه.

فتناولته، فإذا رائحة المسك منه، وإذا بشراب طيب الطعم بارد، فلما شربته قال لي الغلام: يقول لك مولاك إذا شربته فتعال.

ففكرت فيما قال لي وما أقدر على النهوض قبل ذلك على رجلي، فلما استقر الشراب في جوفي فكأنما نشطت من عقال، فأتيت بابه فاستأذنت عليه، فصوّت بي: صح الجسم، أدخل.

فدخلت عليه وأنا باك، فسلمت عليه وقبلت يده ورأسه، فقال لي:

«ما يبكيك يا محمد»؟.

قلت: جعلت فداك أبكي على اغترابي، وبعد الشقة، وقلة القدرة على المقام عندك أنظر إليك. فقال لي:

أما قلة القدرة، فكذلك جعل الله أولياءنا وأهل مودتنا، وجعل البلاء إليهم سريعاً. وأما ما ذكرت من الغربة، فإن المؤمن في هذه الدنيا غريب، وفي هذا الخلق منكوس، حتى يخرج من هذه الدار إلى رحمة الله.

وأما ما ذكرت من بعد الشقة، فلك بأبي عبد الله عليه السلام أسوة بأرض نائية عنّا بالفرات.

وأما ما ذكرت من حبك قربنا، والنظر إلينا، وأنك لا تقدر على ذلك، فالله يعلم ما في قلبك وجزاؤك عليه.

ثم قال لي:

هل تأتي قبر الحسين عليه السلام.

قلت: نعم على خوف ووجل. فقال:

ما كان في هذا أشد، فالثواب فيه على قدر الخوف، ومن خاف في إتيانه، أمّن الله روعته يوم يقوم الناس لرب العالمين، وانصرف بالمغفرة، وسلمت عليه الملائكة، ورآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما يصنع ودعا له، – و– انقلب بنعمة من الله وفضل لم يمسسه سوء، واتبع رضوان الله[1].

(١) كامل الزيارات لابن قولويه: ص ٤٦٣. وسائل الشيعة للحر العاملي: ج١٤، ص٤٥٨. الاختصاص للمفيد رحمه الله: ص ٥٣، مدينة المعاجز للبحراني: ج٥، ص ١٢٥، بحار الأنوار للمجلسي: ج٤٦، ص٣٣٤. كشف اللثام للفاضل الهندي: ج ٩، ص ٢٨٦.

إذن: على المؤمن الذي ابتلي بالغربة، أن يتأسى بسيد الشهداء عليه الصلاة والسلام، ويتحسس منه الجمال المكنون في الغربة، والذي تجلى في حنينه إلى أهله وصحبه وبكائه عليهم بدمعٍ غزير كأنه ريشة رسامٍ خطت على صفحات الخدود صور وجوه الأهل والأصحاب. فكم من مغتربٍ قد أنسته السنين جمال الحنين إلى الأهل والوطن.

لكن هذا الحُسن والجمال أظهره الحسين عليه السلام في هذه الكلمات التي خاطب بها أهله وأصحابه وقد وقف ينظر إليهم فلم ير أحداً من أصحابه وأنصاره إلاّ من صافح التراب جبينه، ومن قطع الحمام أنينه فنادى عليه السلام:

«يا مسلم بن عقيل، ويا هاني بن عروة، ويا حبيب بن مظاهر، ويا زهير بن القين، ويا يزيد بن مظاهر، ويا يحيى بن كثير، ويا هلال بن نافع، ويا إبراهيم بن الحصين، ويا عمير بن المطاع، ويا أسد الكلبي، ويا عبد الله بن عقيل، ويا مسلم بن عوسجة ويا داود بن الطرماح، ويا حر الرياحي، ويا عبدالله بن عقيل، ويا علي بن الحسين.

ويا أبطال الصفا ويا فرسان الهيجاء، مالي أناديكم فلا تجيبون، وأدعوكم فلا تسمعون؟! أنتم نيام أرجوكم تنتبهون، أم حالت منيتكم عن إمامكم فلا تنتصرونه؟! فهذه نساء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لفقدكم قد علاهن النحول فقوموا من نومتكم، أيها الكرام، وادفعوا عن حرم الرسول الطغاة اللّئام، ولكن صرعكم والله ريب المنون وغدر بكم الدهر الخؤون، وإلا لما كنتم عن دعوتي تقصرون، ولا عن نصرتي تحتجبون، فها نحن عليكم مفتجعون، وبكم لاحقون، فإنا لله

وانا إليه راجعون»[١].

صورة تعددت فيها مشاهد الحنين للأهل والأصحاب فكانت مؤنساً لمن يبحث في زحمة الهموم عن مؤنسٍ يجلي عنه هموم الغربة وبعد الأحبة.

المشهد الرابع والعشرون: جمال المكثور في رباطة جأشه

اعتمدنا في البحث على إظهار الجمال في مواضع الوحشة والألم في يوم عاشوراء. ومن هذه المواضع المؤلمة والحزينة، هي: «المكثور».

والمكثور: المغلوب، وهو الذي تكاثر عليه الناس فقهروه[٢].

وهنا.. في يوم عاشوراء الحسين عليه السلام، لم يكن - بأبي وأمي - مكثوراً فقط وإنما قتلوا ولده وأهل بيته وأصحابه أي بمعنى: قد يغلب بعض الرجال بتفردهم في المعركة وتكاثر الناس عليهم فيقهرون ويقتلون في أماكن عديدة جرى فيها القتال ولاسيما إن طبيعة الجزيرة كانت قائمة على الاقتتال والإغارة فيما بين القبائل.

ولكن.. أن يرى مكثوراً قد تكاثر الناس عليه بعد قتل ولده وصحبه وهو يقاتلهم أشد القتال الذي أعجزهم عن المواجهة فأخذوا يفرون من بين يديه فرار المعزى إذا شد عليها الذئب!! فهذا مناط فقط بالإمام الحسين عليه السلام.

لدرجة أذهلت العدو وأدهشت المراقب، حتى قال عبد الله بن عامر بن يغوث:

---

(١) ناسخ التواريخ: ج٢، ص٣٧٧. معالي السبطين: ج٢، ص١٩. مقتل الحسين لأبي مخنف: ص١٣٣.

(٢) لسان العرب لابن منظور: ج ٥، ص ١٣٣.

«ما رأيت مكثورا قط، قد قتل ولده وأهل بيته وصحبه أربط جأشاً منه، ولا أمضى جناناً ولا أجرأ مقدماً، ولقد كانت الرجال تنكشف بين يديه إذا شد فيها ولم يثبت له أحد»[1].

وهذا المشهد الجمالي الذي ظهر لعبد الله بن عامر حيره واشغل فكره فهو لم يرَ جمالاً بهذا الحسن الذي تجلى في رباطة جأش الحسين عليه السلام. وكأنه قمر قد شق نوره الغيوم، فأنسى الناظر وحشة الظلام، وأفضى على قلبه السكينة والسلام.

فأي قلب يمتلك هذا الثبات وأي نفس أربط من هذه النفس، وأي روح أمضى وأجرأ وأقدم من روح سيد الشهداء عليه السلام؛ «ولقد كانت الرجال تنكشف بين يديه إذا شد فيها ولم يثبت له أحد».

المشهد الخامس والعشرون: جمال العوز والحاجة في الإيثار

يمكن القول بأنّ عاشوراء كلها مواضع للحاجة والعوز، وبخاصة ما يتعلق بالاحتياجات الإنسانية كالماء، والطعام، والأمن، ولاسيما وإن هناك مجموعة من الأطفال والنساء.

إلا أنّ التاريخ سجل في هذا اليوم موقفين بدا فيهما جمال الحاجة والعوز يتجلى في الإيثار.

بمعنى آخر: إن هذه الفضيلة الأخلاقية يظهر جمالها في مواضع الحاجة والعوز فتكون تلك المواضع جميلة لأنها أظهرت جمال الإيثار.

---

(١) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للسيد المقرّم: ص ٢٨٨.

الموضع الأول

وأول هذه المواقف من حيث الوقوع الزمني هو: نزول العباس عليه السلام إلى النهر لملئ القربة وحملها إلى معسكر أخيه الحسين عليه السلام: فلما لامست يديه الماء وأحس ببرودته وهو في شدة العطش لأنه لم يشرب الماء منذ ثلاثة أيام مع ما رافق هذا اليوم من حملات وقتال في غاية الشدة؛ إذ ليس من الأمر الهيّن أن يتم قتال أربعة آلاف فارس[1] كانوا موكلين بالفرات بقيادة عمرو بن الحجاج وكشفهم عنه.

كل ذلك جعله يغترف من الماء ويقربه ليشرب إلاّ أن هذا العطش المتأجج في أحشائه عليه السلام والذي بادر لإطفائه لم ينسه عطش أخيه الحسين فرمى الماء وقال:

يا نفس من بعد الحسين هوني	**وبعده لا كنت أن تكوني**
هذا حسين وارد المنونِ	**وتشربين بارد المعينِ**

تالله ما هذا فعال ديني[2]

على الرغم من أن شربه للماء لم يؤثر على إخلاصه لأخيه إلا أنه آثره على نفسه وبالغ في ذلك وأعطى غاية المجهود كما شهد بذلك الإمام الصادق بقوله:

«قد بالغت في النصيحة وأعطيت غاية المجهود».

---

(١) بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٤١، الدمعة الساكبة: ج ٤، ص ٣٢٢.

(٢) مقتل الإمام الحسين عليه السلام لأبي مخنف الأزدي: ص ١٧٩، ينابيع المودة للقندوزي الشافعي: ج ٣، ص ٦٧. مقتل الإمام الحسين عليه السلام للسيد المقرّم: ص ٢٨١. أبصار العين للسماوي: ص٦٢.

وهذا يدلل على حجم العطش والحاجة إلى شرب الماء، ويـدلل أيـضاً عـلى انكشاف هذا الجمال وظهور حسنه لكل من كانوا أهلاً لحمـل الفـضائل، والقـيم، والحس الإنساني، فهم الوحيدون الذين يرون هذا الحسن والجمال.

الموضع الثاني

لتجلي هذا الجمال، هو: وقوف الإمام الحسين عليه السلام على الماء حينما حمل على الأعور السلمي وعمرو بن الحجاج الزبيدي وكانا في – عدة آلاف– من الرجال على النهر، وأقحم الفرس على الفرات، فلما أولغ الفرس برأسه ليـشرب قال عليه السلام: «أنت عطشان وأنا عطشان، والله لا ذقت الماء حتى تشرب».

فلمّا سمع الفرس كلام الحسين عليه السلام شال رأسه ولم يشرب كأنّه فهـم الكلام، فقال الحسين عليه السلام: «أشرب فأنا أشرب» فمدّ الحسين عليـه الـسلام يده فغرف من الماء.

فقال فارس: يا أبا عبد الله، تتلذّذ بشرب الماء وقد هتكت حرمـك؟ فـنفض الماء من يده، وحمل على القوم فكشفهم، فإذا الخيمة سالمة[1].

فهـل شـهدت الحضارة الإنـسانية بكـل قيمهـا، وأمجادهـا، وعناصـر بنائهـا، وأفراد تشيدها، موقفاً حضارياً وإنسانياً مثل هذا الموقف؟.

وهل شهدت القيم الرسالية، والإنسانية، إيثاراً تجلى فيه كـل هـذا الجمـال؟ إنه جمال عاشوراء في قيمها الحسينية.

---

(١) المناقب لابـن شـهر آشـوب: ج ٤، ص ٥٨. بحـار الأنـوار: ج ٤٥، ص ٥١. مدينـة المعـاجز للبحرانـي: ج ٣، ص٥٠٥. العوالم؛ الإمام الحسين عليه السلام: ص ٢٩٤.

المشهد السادس والعشرون: جمال الطفولة في إدخالها السرور على الناظر

سئلت بعض الأمهات عن جمال الطفولة أين يكمن؟ فقال بعضهن: إنه في البراءة؛ والبعض رأى أنه في لعبهم وألعابهم؛ والبعض الآخر في نعومتهم؛ بينما رأت أخريات أن جمال الطفولة في مناغاتهم وأول نطقهم ودلالهم وغير ذلك.

إلاّ أنني وجدت من خلال هذه الآراء أن جمال الطفولة يكمن في إدخالها السرور على الناظر.

بل وجدت أنّ الناظر إلى الطفل تلازمه ابتسامة دون أن يلحظ أحياناً أنه ابتسم، وأحياناً أنه لا يدرك السبب لهذه الابتسامة؟ فقد يكون السبب هو تذكرة عبور من عالم إلى عالم آخر، وربما هي مقدمة لبداية علاقة، أو هو تعبير عن الشكر لأنه أدخل السرور على قلب الناظر إليه، ويمكن أن هذه الابتسامة هي رسالة حب لا تستطيع قراءتها غير هذه العيون الصافية.

إلاّ أنّ للطفولة في عاشوراء جمالاً غير هذا كله؛ حينما وضع الحسين عليه السلام وهو الأب الذي كان قبل لحظات قليلة قد فقد ولده الشاب في ساحة المعركة، ورأى ما صنع به الأعداء، من تقطيع لبدنه الذي شابه بدن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ورأى أيضاً أهله وأصحابه مجزرين كالأضاحي في ساحة كربلاء قد صافح التراب جبينهم وقطع الموت أنينهم.

وربما تكون لهذه الابتسامة وهذه العيون أسباب غير هذا كله أفصحت عنها عاشوراء حينما جاء الأب المفجوع يشق طريقه بين أجساد الأحبة وصراخات الأطفال وآهات الأمهات، وزفرات الأرامل. خطوات ثقيلة كثقل مصائب كربلاء

أخفاها الوالد المكروب بين أحجار غربته وصخور حزنه عن ناظر الطفل الرضيع حينما وضعه في حجره الدافئ يحنو عليه كمحارة انحنت على لؤلؤتها.

هنا.. كانت نظرتان رافقتهما ابتسامة، الأولى من أب مفارق لرضيعه الذي أحاطت به الأخطار، والثانية من طفل لم يذق الماء منذ ثلاثة أيام فغارت عيناه، ويبست شفتاه، وتشققت، كأنها أرض تصرخ لطلب الماء.

أمّا نظرة الوالد المفجوع فكانت ممزوجة بالدمع والابتسامة؛ فدمعه كان يحكي لطفله قصة ما جرى على أخوانه وأهله وأحبابه وعماته، كي يكون شاهداً على ما جرى عند خروج المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف. حينما يكون بينهما اللقاء في كربلاء.

وأمّا ابتسامته التي شقت طريقها من بين هذه الدموع خاطبته: شكراً لك ولدي الرضيع، فها قد أدخلت بعض السرور على قلبي الذي لم يبقَ فيه موضع لم يصب. بني، اصبر قليلاً، فها هي جدتك الزهراء قد مدت يديها إليك لتضمك إلى صدرها وتسقيك. والنظرة الثانية، نظرة الطفل الرضيع في وجه أبيه، فإنها كانت تحكي له أمنيات عديدة؛ أولها أن يفديه كأخوته، وثانيها أن يحمله إلى مكان بعيد، أو أن يأتيه بجده النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبيه علي عليه السلام، وعمومته حمزة بن عبد المطلب وجعفر الطيار وبني هاشم، أو لعله يستطيع أن يجمع له أنصاراً يلبون استغاثته، أو أن يأتيه بالماء. آه لهذا الطفل الرضيع كم كانت أمنياته كثيرة لم يجد لها سبيلاً! ولم يملك بعدها غير هذه الابتسامة في وجه أبيه من ثغرٍ شققه العطش. عله يدخل على قلبه شبح السرور ويحمل عنه بعض هذه الهموم فهذا الذي يملكه في الحقيقة.

لكن.. آه، وألف آه، لهذه الحقيقة وهذه الابتسامة التي نحرت في حجر أبيه فضاعت معها الأمنيات وذبحت معها ابتسامة الرضيع بسهم ذبح معها الرضيع. فأطفأ جماله، وقتل سرور أبيه!!!.

فلا سرور في قلوب آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد هذا الرضيع، حين نحر جمال الطفولة في حجر الحسين عليه السلام(١).

المشهد السابع والعشرون: جمال العاربة في الحسب

هنا في هذا المشهد ننتقل إلى قضية اجتماعية متشعبة لا يسعها هذا العنوان إلا أننا سننتقي ما يفي بغرض الموضوع الذي اخترناه للبحث.

لأن الحديث عن الأعراق، والأجناس، وجذور تكون الأمم والشعوب، حديث اشترك فيه العديد من المختصين في المجالات المختلفة في العلوم الاجتماعية. إلا أننا هنا.. نتحدث عن الجمال في عاشوراء فقد بدا فيها أنّ للأقوام في تكوينها ونشأتها جمالاً أيضاً.

فالعرب، هم: العرب العاربة، أي الصريح منهم. والأعاريب: جماعة الأعراب(٢).

ورجل عربي، وامرأة عربية. ونقول: قوم ما بها عريب، أي: ما بها عربي. وقيل: العُرْبُ والعَرَبُ: جيل من الناس معروف، خلاف العجم، وهما

---

(١) راجع في تفاصيل مقتل الطفل الرضيع: ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ج ٣، ص ٧٨. مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ج ٢، ص ٣٢. اللهوف: ص ١١٦. بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٤٦. نفس المهموم: ص ٣٤٩.

(٢) كتاب العين للفراهيدي: ج ٢، ص ١٢٨.

واحد[١].

والعرب العاربة لها جمال تجلى في أحسابهم فهي شرف الآباء وأمجاد أفعالهم الحسنة؛ ولذلك كانوا يحافظون عليها ويتفاخرون فيما بينهم بها، لأنها مصدر عزهم وفخرهم بين الناس.

ومن هنا:

يضع الإمام الحسين عليه السلام أحد المناهج في التربية الاجتماعية، يقوم على أساس المحافظة على هذه الأحساب العربية بكونها رادعاً يمنع الإنسان عن القيام برذائل وأفعال مشينة تخل بهذا الرصيد الشخصي والأسري لهذا العربي أو ذاك.

ولذا.. خاطبهم حينما برز للقتال بنفسه ومهجته المقدسة فرآهم يخططون أثناء القتال لعزله عن حُرمه أي: بنات الرسالة ومن لاذ بهنّ من نساء الأنصار؛ عندما صاح عمر بن سعد بالجمع: هذا ابن الانزع البطين[٢]، هذا ابن قتال العرب، احملوا عليه من كل جانب.

فأتته أربعة آلاف نبلة، وحال الرجال بينه وبين رحله فصاح عليه السلام بهم:

«يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً

(١) لسان العرب لابن منظور: ج ١، ص ٥٨٦.

(٢) المراد به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقد مرّ بيان صفة جماله.

كما تزعمون».

فناداه شمر: ما تقول يا ابن فاطمة؟

قال: أنا الذي أقاتلكم، والنساء ليس عليهنّ جناح فامنعوا عتاتكم عن التعرض لحرمي ما دمت حياً[1].

والخطاب الحسيني على قائله الصلاة والسلام، يحدد عوامل تقويم السلوك الإنساني، وكفه عن الوقوع في الرذائل؛ وهو في أشد حالات انكشاف النفس: حيث الاستعانة بالسلطة، والانقياد للشهوة المتأججة في الحصول على أبخس الأثمان، والتكالب على موضع قدمٍ عند عمال السلطة، ناهيك عن البغض لآل أبي طالب عليهم السلام.

كل هذا الانكشاف والتعري لهذه النفوس التي زحفت لقتال ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لم يمنع الإمام الحسين عليه السلام من تقديم الموعظة التي تدور مدار الزمن، الذي يتجدد بظهور هذه الأنفس، ووضع العوامل التي تمكن هذه النفوس من الكف عن الرذيلة.

فقال: «يا شيعة آل أبي سفيان».

وهنا حدد عليه السلام الهوية العقائدية والحزبية السياسية لهذه المجموعة، وهذا أولاً.

ثانياً: الأسس التي تكونت منها هذه المجموعة، وكانت مكوناً نشوئيّاً لها، هي:

---

(١) البحار: ج ٤٥، ص٥١.

١ – إن لم يكن لكم دين.

٢ – وكنتم لا تخافون المعاد.

«فارجعوا».

هنا: حدد الإمام الحسين عليه السلام المنهج الذي يعتمد عليه في تقويم السلوك الإنساني كي يحميه من الانحراف، فإن حدث هذا الانحراف فتقويمه يكون بالرجوع إليهما، أي: الدين، والخوف من المعاد.

ولكن: في حال انعدام الدين، وفقدان الخوف من المعاد. فالعوامل التي تستخدم في تقويم السلوك هي هذه:

١ – كونوا أحراراً في دنياكم.

٢ – وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون.

فالعامل الأول يدور مدار الحس السايكولوجي (النفسي)، القائم على تحرر النفس من عبودية الشهوات وذل رقها.

والثاني يدور مدار الحس السوسيولوجي (الاجتماعي)، القائم على التمسك بالقيم التي نشأ عليها العرب الاعاربة، وتمسك بها أبناؤهم، لأنها رصيدهم الاجتماعي، وموضع عزهم وفخرهم.

إلا أنهم اثبتوا بقتلهم ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنه ليس لهم ضابط من الضوابط، السلوكية النفسية والاجتماعية، والدينية والقومية.

إذن: هو مشهد آخر من مشاهد عاشوراء برز فيه جمال العرب في أحسابهم وتمسكهم بقيمهم إن كانوا عرباً كما يدعون.

المشهد الثامن والعشرون: جمال شدة البأس في النجدة

من الواضح أن جميع مجريات عاشوراء جرت في أجواء الحرب؛ ابتداءً من تجمع الجيوش ومحاصرتها للإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، في أرض كربلاء، ثم تخيره عليه السلام بين النزول عند رغبة طاغية زمانه ومبايعته قهراً، وهو الإذلال؛ وبين قتاله الذي أبت نفسه المقدسة إلا اختياره. فأعدّ مع هذه القلة القليلة مواضع الدفاع، وتفقد التلاع والعقبات، وقارب بين الخيام، وحفر مع أصحابه وأهل بيته خندقاً خلف الخيام.

وكانوا مع هذه الأجواء يعيشون أجواءً أخرى وهي: العطش، والجوع، فقد قطعوا عنهم الماء منذ ثلاثة أيام. فكانت النساء والأطفال تعيش حرباً نفسية واقتصادية قبل الشروع في القتال. وما تخلفه من خوف وهلع على نفوس هذه النسوة ومن لاذ بهنّ.

حتى إذا بزغ الفجر وطلع خيط الصبح زحفت هذه الجموع المؤلفة نحو مخيم الحسين وأهل بيته وصحبه عليهم السلام. هذه الأجواء العصيبة كلها تدخل ضمن مسمى لغوي، هو: (البأس)؛ فإذا اشتبك القوم والتحموا، كان هو: «الشدة في البأس»؛ وكلما اشتد القتال اشتد معه بأس الرجال المحاربين.

وهنا..

في مشتبك الرماح، ومشتجر السيوف، تستغيث امرأة تطلب النجدة والخلاص من أرذل الخلق وأخسهم وأوضعهم؛فمن ينجدها والحرب هذا حالها.

ولذا كان الأدهى والأعظم من هذا الحال! هو أن تنكشف هذه الجموع وتقلب ميمنتها على ميسرتها؛ حين حمل عليها ابن علي بن أبي طالب عليهما

السلام وهو يقول:

أنـــا الحـــسين بـــن علـــي	**آليــــــــت أن لا أنـــــــــثني**
أحمـــــــــي عيـــــــالات أبي	**امــــضي علـــى ديـــن الـــنبي**

قال عبدالله بن يغوث: ما رأيت مكثوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته، وصحبه أربط جأشاً منه ولا أمضى جناناً ولا أجرأ مقدماً ولقد كانت الرجال تنكشف بين يديه إذا شد فيها ولم يثبت له أحد.

ثم يشتد القتال في أقصى درجاته، فينادي عمر بن سعد بالجمع: هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتال العرب، احملوا عليه من كل جانب، فأتته أربعة آلاف نبلة. وحال الرجال بينه وبين رحله[1].

وفي هذه اللحظات التي لم يشهد مثلها التاريخ، ولا ظهر فيها مثل هذا الجمال، الذي تجلى في غيرة الرجال وحميتهم، لم يغفل أبو عبد الله عليه السلام عن صون حرمه!؟.

بل إن التاريخ ليسجل هنا، بأحرف خالدات كخلود صاحبها، موقفاً جمالياً آخر تجلى فيه جمال النجدة التي لم ير مثلها واقعاً عملياً كالذي جسدته عاشوراء على أرض كربلاء.

فبعد هذه الآلاف من النبال واشتداد القتال، كان العطش يشتد به أكثر!!.

---

(١) مثير الأحزان لابن نما الحلي: ص ٥٤. بحار الأنوار للمجلسي: ص ٥٠. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: ص ٢٩٣. مستدرك سفينة البحار للشاهرودي: ص ٣٧٢. الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ٤، ص ٧٧. البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٠٤. اللهوف لابن طاووس: ص ٧٠، ترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد: ص٧٤. المجالس الفاخرة لشرف الدين رحمه الله: ص ٢٤٧.

فحمل - بأبي وأمي - نحو الفرات على عمرو بن الحجاج وكان في أربعة الآلاف فكشفهم عن الماء، وأقحم الفرس الماء. - فيتجلى مشهد آخر من الجمال(١)؛- ولما مدّ أبو عبدالله عليه السلام يده ليشرب؛ ناداه رجل اتلتذ بالماء وقد هتكت حرمك؟!. فرمى الماء ولم يشرب وقصد الخيمة(٢).

فكانت نجدته لهم، مع شدة عطشه الذي أخذ منه كل مأخذ، لم تمنعه من الإقدام السريع لما دعي إليه، ولم يمهل نفسه حتى هذه الثواني القليلة جداً، التي يستغرقها شرب كف من الماء!!.

إنه موقف احتارت به العقول!! وطؤطئت له هامات الرجال، حين بدا تجلي جمال النجدة الحسينية.

المشهد التاسع والعشرون: جمال البراءة حينما تنحر على أعتاب القيم

لو أردنا أن ننظر إلى محلٍ جمعت فيه كل الكمالات والقيم الأخلاقية السماوية لكان هذا المحل هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ ولو أردنا أن ننظر إلى هذا الإرث لمن انتقل وفيمن حل - ما خلا النبوة والوصاية - لوجدناه عند الحسين عليه السلام؛ بل لقد ضم بين جنبيه إرث أصحاب الكساء فكان الدال عليهم والقائد إليهم.

ولو أردنا أيضاً أن نبحث عن البراءة، لوجدناها متألقةً في الطفولة، تشع بأنوارها بين تلك السنين الأولى التي يقضيها الطفل.

فكان من عجائب كربلاء وتفردها في وقوع الأحداث أن تجتمع القيم

---

(١) وقد مرّ بيان هذا المشهد في جمال الحاجة والعوز وتجليها في الإيثار.

(٢) البحار للمجلسي: ج ٤٥، ص ٥١. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: ص ٢٩٤.

والبراءة في محل واحد لتقدم مشهداً – لا نبالغ إن قلنا إنه لا يتجدد – وإن طال الزمن.

فتأمل فيه فياله من مشهد عجيب!.

حين سقط الحسين عليه السلام من على جواده إلى الأرض، فلبث المجرمون عنه هنيئة، ثم عادوا إليه وأحاطوا به وهو جالس – بأبي وأمي – على الأرض لا يستطيع النهوض.

في هذه اللحظات كان عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وله إحدى عشرة سنة، واقفاً بباب الخيمة فنظر إلى عمه وقد أحدق به القوم، فأقبل يشتد نحوه، وأرادت عمته زينب حبسه فأفلت منها وجاء إلى عمه الحسين عليه السلام؛ فرأى بحر بن كعب قد أهوى بالسيف ليضرب الحسين عليه السلام؛ فصاح الغلام: يا ابن الخبيثة أتضرب عمي؟.

فغضب بحر بن كعب وحول الضربة إليه فاتقاها الغلام بيده، فأطنها السيف إلى الجلد، فإذا هي معلقة. فصاح الغلام: يا عماه! ووقع في حجر الحسين عليه السلام، فضمه إليه وقال: «يا ابن أخي أصبر على ما نزل بك واحتسب في ذلك الخير فإن الله تعالى يلحقك بآبائك الصالحين»(١).

ولم يكتفوا بهذا الفعل ولم يشفِ غليلهم المتأجج بنيران البغض لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم هذا الصنيع فعمدوا على قتل الغلام الجريح وهو في

---

(١) ورفع الإمام يديه قائلا: «اللهم إن متعتهم إلى حين ففرقهم تفريقا واجعلهم طرائق قداداً ولا ترض الولاة عنهم أبداً فإنهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلونا».

حجر عمه الحسين عليه السلام بأبشع طريقة إذ رماه حرملة بن كاهل الأسدي بسهم فذبحه بحجر عمه[1].

وإني لا أعلم أأعجب من دفاع هذا الغلام عن القيم المحمديّة ونحره على أعتابها، أم أعجب من صبر الحسين عليه السلام. أم من تصبيره وقوله لهذا الغلام الذي بقيت يده معلقة بالجلد «يا ابن أخي اصبرعلى ما نزل بك» أم أعجب من إقرانه عليه السلام للصبر بالاحتساب في حربه للظالمين وهو في هذه الحالة التي تنهار فيها همم الرجال، لكن قلبه عليه السلام لم يفارق الله بل يعلم هذا الغلام سبيل الالتحاق بآبائه الصالحين.

فينكشف عندها مشهد آخر من الجمال، يتجلى فيه جمال الصبر في الاحتساب، ليتعانق مع جمال البراءة حينما تنحر على أعتاب القيم.

المشهد الأخير: جمال الإمام الحسين وهو على رمضاء كربلاء

لقد مرّ في فصول البحث بيان جمال الإمام الحسين عليه السلام؛ إلاّ أنّ هذا لا يمنع من تتبع ورصد جمال الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء.

فلقد كان هذا الجمال من الألطاف الإلهية التي تجلت في الطف لكل الناس، سواء ألمن كانوا يقاتلون معه، أم لأعدائه؛ ولعل سائلاً يسأل عن الفارق بين الجمالين؟ وعن كيفية ظهور هذا التجلي لكل من حضر المعركة؟.

والجواب:

---

(١) البحار للمجلسي: ج ٤٥، ص ٥٣. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: ص ٢٩٦. تاريخ الطبري: ج٤، ص ٣٤٤. مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ص ١٩١. الدر النظيم لابن حاتم العاملي: ص٥٥٧. أبصار العين للسماوي: ص ٧٤.

هـو أنّ الرجـال والنـساء تـتغير ملامحهـم عنـد نـزول المـصائب، واشـتداد الابتلاءات، وعظيم الرزايا، بين النحول، واصفرار الوجه، والاضطراب الـشديد، وارتفاع ضغط الدم، وارتعاد الفرائص، وارتجاف الأرجل، ونشفان الريق، وحبس الـصوت، وسـرعة ضـربات القلـب، وبـرودة الأطـراف، وتـشتت الفكـر، وضـياع الكلمات، وتسمر العيون، وتكسر الأنفاس، واضطراب الحواس.

بل قد يؤدي المصاب بكـثير مـن النـاس بـالخروج عـن الطـور، والتحـول إلى مخلوق جديد لا يعي ما يقول ولا يدرك مـا يفعـل، ناهيـك عـن الإغمـاء أو حـتى الوفاة والانتهاء بجثة هامدة.

وربما يصل حد التأثر عند كثير من الناس إلى الإصابة بعاهـة دائمـة كالـشلل أو العمى، وهو لم يلحظ بأم عينه المصيبة، وإنما لمجرد السماع أنها نزلت بعزيـز لـه؛ وهو ما يرافق بعض الأمهات.

لكن.. كيف هو تأثير المصاب في جمال ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟.

هل افقده جماله المعهود؟.

هل تغيرت ملامح الحسن الذي لم يرَ مثلها؟.

هل بقي على تلك الهيئة التي تملأ العين والقلب؟!.

كيف كان الحال الذي عليه أبو عبد الله عليه السلام؟.

هنا.. صورة جمعت بين أطرافها جمالاً وحـسناً لم تلـتقط عـين البـشر صـورة مثلـها؛ فقـد تفـردت بملامحهـا وحـسنها، كتفـرد صـاحبها بعظـيم مـصائبه، وتعـدد

رزاياه؛ فكان كلما نزل به البلاء والمصاب بدا الجمال يتجلى في وجهه أكثر!.

إن هذه الصورة الفريدة في حسنها وجمالها قد شغلت فكر من قدم لقطع رأس الإمام الحسين عليه السلام، فوقف القاتل مبهوراً مشغولاً بأمرٍ قد عزل عنه الفكر، وأغلق عليه المسامع، ولم تجد عينه القدرة في الحركة، فهي شاخصة في هذا النور الذي تجلى كأنه شبح واقف أمامه، وهو يسأله: كيف ليدك أن تخترق هذا الجمال؟!.

وكم تحتاج من الوقت، لقطع كل هذا التجلي الذي جمع من آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟!

ويلك هذه رسالات، وأمم، وكتب، وألواح، وصحائف، قد دونت على صفحات هذا النور المتدفق، من جبين قد خلق للسجود، فكان له وسام.

كلمات خيل إليه أنه يسمعها من نور جبين الإمام الحسين عليه السلام، فلم يجد لها جواباً!!.

فعاد الرجل حائراً، مشغولاً، ومن عظيم ما رأى مذهولاً، فيداه قد فقدتا قواهما.. فانحنى منها السيف إلى الأرض. يخط فيها آثار الانكسار الذي أحس به صاحبه.

لكن السيف ليس هذا حاله لما انحنى للأرض فقد قبلها شكراً لله، إذ لم يكن بيدٍ قتلت حسيناً فتصلى جهنم ونيراناً.

كلمات ليت صاحب السيف يسمعها.. ويعي ما قدم عليه أهل الظلم والعدوان.

فتلقاه الجمع مالك عدت خائباً، وعن قتل الحسين معرضاً؟ فرد عليهم قائلاً: «وقفت عليه وأنه ليجود بنفسه، فوالله ما رأيت قط قتيلاً مضمخاً بدمه أحسن منه، ولا أنور وجهاً، ولقد شغلني نور وجهه وجمال هيبته عن الفكرة في قتله»[1].

فكان هذا حال بعض أعدائه فيما رأوا من تجليات جماله! فكيف هو حال أهل بيته وأصحابه.

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس: ص ٧٥، ط أنوار الهدى بقم. مثير الأحزان لابن نما: ص٥٧. مدينة المعاجز للبحراني: ج ٤، ص ٧٧. بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٥٧. العوالم – الإمام الحسين عليه السلام – ص ٣٠١. لواعج الأشجان للسيد محسن الأمين: ص ١٨٩. المجالس الفاخرة للسيد عبدالحسين شرف الدين رحمه الله: ص ٣٢٩.

وقد ذكرت هذه المصادر: أن صاحب هذا القول هو (هلال بن نافع)، وإن سبب قوله هو أنه كان في جيش ابن سعد، فسمع الناس تقول إن الحسين قتل، فخرج من بين صفوف الجيش يستعلم الحال. إلاّ أن قوله: شغلني نور وجهه عن الفكرة في قتله، دليل على عزم القائل على قتل الإمام الحسين عليه السلام، لكنه لم يشأ أن يصرح بذلك، فأدعى إنه سمع الناس تقول قتل الحسين، فخرج.

المبحث السابع

مفهوم الجمال عند العقيلة زينب

عليها السلام

توطئة

المفاهيم حول الجمال متعددة عند الفلاسفة والمفكرين والشعراء والفنانين، وهي متغيرة لتأثرها بتغير النظرة إلى الحياة فقد يرى الفيلسوف في العصر اليوناني غير ما يراه الفيلسوف في العصر الحديث.

وقد يرى الشاعر والأديب غير ما يراه الفنان، إذ إن للزمن أثره في تغير المفاهيم، ولاسيما مفهوم الجمال.

فقد يكون الجمال هو الإحاطة بتلك القراءات لأولئك الذين ينظرون إلى الحياة بمنظور خاص. وقد يكون الجمال هو الفكرة والعبرة والتأمل والأنس بها، وقد يكون غير هذا كله.

ومن هنا:

عندما نقف عند الفكر الزينبي نجد أنّ المفاهيم تختلف عن تلك التي يراها الفلاسفة والمفكرون. والسبب في ذلك يعود إلى فردانية المفهوم؛ وثانياً إلى تجدده وانسجامه مع الأزمنة وإن تغيرت فيها الرؤى والقراءات.

فلننظر إذن إلى فرادنية المفهوم في الفكر الزينبي.

أولاً: من حيث الظهور فهو فريد أيضاً؛ وفردانيته تكمن في الحدث الذي بدا فيه مفهوم الجمال عند العقيلة زينب عليها الصلاة والسلام.

فقد وقفت في مجلس غاصٍ بالجبابرة والعتاة والشامتين؛ في مجلس وضعت فيه رؤوس أخوتها وأبنائها وأرحامها وهي امرأة وحيدة تحيط بها نساء ثكالى وأطفال أطار الرعب عقولها وسمّر الخوف أعينها فغدت لا تبصر سوى شخص زينب بنت علي أمير المؤمنين عليها السلام. إن بكت بكوا وإن أمسكت أمسكوا، وإن تكلمت أنصتوا وإن سكتت تأملوا واعتبروا.

في مجلس وقف فيه طاغية عصرها شامتاً وساخرا وساحراً لعقول أطبق عليها الظلم فغدت بلهاء عوجاء حمقاء تتبع سبيل قوم مجرمين؛ فكأنه ألقى عليهم عصيه وحباله، وقال بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون ثم التفت إليها قائلاً: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم.

كلمات خيل إلى كثير من الجالسين كأنها تسعى!!. فرمتها عقيلة حيدر عليهما السلام بكلمات تلقف ما يأفكون، فقالت عليها السلام:

«الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وطهرنا من الرجس تطهيراً، إنما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر. وهو غيرنا».

فكانت جولة خسر فيها فرعون الكوفة ما أوتيه من سحر فلم يكن يدري أنها تنطق بلسان علي أمير المؤمنين عليه السلام فأعاد الكرّة لعله يفلح هذه المرّة! وقد استجمع كلّ ما ورثه من رجس أمه سمية وجدته مرجانة فألقى كلماته، وياليته لم يفعل فلقد كانت القاضية.

فقال لها: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟.

فقالت عليها السلام:

«ما رأيت إلاّ جميلاً هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن الفلج ثكلتك أمك يا ابن مرجانة»[1].

فغضب - اللعين - وكأنه هم بها.

فقال له عمرو بن حريث: أنها امرأة، والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها.

فقال ابن زياد: لقد شفى اللهُ قلبي من طاغيتك الحسين والعصاة المردة من أهل بيتك. فقالت:

«لعمري لقد قتلت كهلي وقطعت فرعي، واجتثثت أصلي، فإن كان هذا شفاءك فقد اشتفيت».

فقال ابن زياد: هذه سجاعة! ولعمري لقد كان أبوك سجاعاً شاعراً.

فقالت:

«يا ابن زياد ما للمرأة والسجاعة! وإن لي عن السجاعة لشغلاً وإني لا عجب ممن يشتفي بقتل أئمته، ويعلم أنهم منتقمون منه في آخرته»[2].

---

(١) مثير الأحزان لابن نما الحلي: ص ٧١. الفتوح لابن اعثم: ج٥، ص ١٢٢. اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس: ص ٩٤. البحار: ج ٤٥، ص ١١٦. العوالم للبحراني - الإمام الحسين عليه السلام: ص ٣٨٢. أعيان الشيعة السيد محسن الأمين: ج ١، ص ٦١٤.

(٢) مثير الأحزان: ص ٧١. بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١١٦.

فلم يجد ابن زياد بعد هذه الهزيمة والذل الذي مني به غير التشفي من رأس ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

إذن :

ظهور المفهوم كان فريداً من حيث الزمان والمكان والفكر والرؤى والأشخاص والظروف والعوامل والألم والمشاعر والتحديات؛ فلم يشهد التاريخ يوماً ولن يشهد أن ينطلق مفهوم للجمال من قلب لم يبق موضع فيه يخلو من ألم مبرح ومصاب مقرح وهو مع هذا يرى الجمال يزهو من تلك الوجوه التي تعفرت على رمضاء كربلاء في ساحة الطف يوم عاشوراء.

فحقاً ما رأت عقيلة علي عليهما السلام إلا جميلاً، فهي التي لم تفارق الجمال يوماً، فقد رأت عينها جمال تلك الوجوه التي لو أقسمت على الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله. وهي التي لم تفارق أُذنها الجميل فها هو صوت جدها رسول الله وصوت أبيها علي وأمها فاطمة وأخويها الحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين يطرق مسامعها.

أنه جمال في جمال هكذا نشأت في الجمال ولا ترى غير الجمال.

ولذا: لما نظرت إلى تلك الأجساد وهم أحبتها وأهلها وقد صبغتها الدماء أبصرت فيها الحياة التي تشرق مع كل صباح لتدب دورة جديدة في الفكر البشري فينهض مجدداً في وجه الجهل والظلم والاستبداد والذل.

وينطلق في ساحات المعرفة والعدل والحرية والعزة.

هكذا هو مفهوم الجمال عند العقيلة زينب فإما حياة بجمال وإما موت بجمال.

المسألة الأولى: الجمالية البلاغية في خطاب العقيلة زينب عليها السلام

من الركائز التي ظهرت في خطاب العقيلة زينب عليها السلام هي: جمالية الخبر والإنشاء، وقوة البيان الذي تجلت فيه جمالية البلاغة بشكل سحر السامع فانقاد إلى هذا الإخبار الكاشف عن عمق الفكر وسعة المفهوم ودلالة اللفظ وإلزام الحجة التي أسرت العقل وكشفت الشبهات التي نفثها عبيد الله بن زياد في أذهان السامعين.

ولذلك: تراه حاول أن يحجب أذهان السامعين عن هذا الجمال الذي تجلى في منطق العقيلة زينب عليها السلام فانعطف إلى ذم هذا البيان وجمالية البلاغة، قائلاً: هذه سجاعة![1] ولعمري لقد كان أبوك سجاعاً شاعراً. فقالت:

«يا ابن زياد ما للمرأة والسجاعة! وإن لي عن السجاعة لشغلا؛ وإني لا عجب ممن يشتفي بقتل أئمته، ويعلم أنهم منتقمون منه في آخرته»!!.

وهذا يكشف عن الأثر البالغ لهذه الجمالية البلاغية التي حجّمت ابن زياد فأعجزته عن الرد ولو بكلمة واحدة تحمل مدلولاً يرقى إلى هذا الجمال المتألق في خطاب العقيلة زينب عليها السلام. بل.. أيقن أنه عاجز أمام هذا الجمال الذي وصفه بالسجاعة، وأيقن أيضاً أن هذه الكلمات أظهرت قبح منطقه وركاكة لفظه وهشاشة عبارته.

ولذلك.. «من يطلع - مثلاً - على علم البلاغة العربية يدرك بكل وضوح

---

(١) السجع: الكلام المقفى، والجمع أسجاع وأساجيع؛ وسجع الرجل إذا نطق بكلام له فواصل كقوافي الشعر من غير وزن. «كتاب العين للفراهيدي: ج ١، ص ٢١٤».

أن مصطلح البلاغة الذي جعله البلاغيون العرب غالباً مماثلاً للفصاحة وكلاهما ملازم للبيان، إنما يحملان ملامح الصفاء والنقاء والبهاء؛ والجودة والإتقان، والوضوح والدقة في الدلالة والاختيار، وتنقية كل أسلوب من أي لفظ يشينه، تحسيناً وتزييناً ليغدو النص متلاحم الأجزاء، عذباً رقيق الحواشي، بعيداً عن التقيد والغموض والهشاشة والضّعف والتنافر(١).

فأي باحث يتأمل في أساليب البلاغة؛ يلحظ المتكلم لا يكتفي بان يعرض أسلوبه بشكل تقريري مباشر، وإنما قد يرسله على سبيل المجاز مستخدماً أساليب مرافقة له كالترصيع؛ والتصريع؛ والإشارة؛ والتلويح ليزيد كلامه ألقاً وإشراقاً؛ وهذا كله من عناصر الجمال؛ لان كل مادة ترقى إلى البلاغة والفصاحة إنما هي شكل جمالي وكذلك كل ما يتعلق بأحوال الإسناد والذكر والحذف، والتنكير.

إن الجمال وقع في الإبداع البلاغي كما وقع في غيره من أنماط إبداعية إنسانية ولاسيما حين حرصت أساليب البلاغة على أسرار الجملة اللغوية والنحوية والأدبية في وقت واحد لتصل بالكلام العربي إلى مرتبة البيان الناصع المؤثر الساحر الذي يثير النفس والفكر إذا سمعه البلغاء كما جرى مع سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم حين استمع إلى عمرو بن الأهتم وأعجب بقوله فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن من البيان لسحراً»(٢)...

---

(١) جمالية الخبر والإنشاء – دراسة بلاغية للدكتور حسين جمعة.

(٢) المصدر السابق، والحديث الشريف أورده السيوطي في الجامع الصغير من حديث البشير النذير: ١ / ٢٣١ (حديث رقم ٢٤٥٦).

المسألة الثانية: تلازم مفهوم الجمال ومفهوم التوحيد في الفكر الزينبي

من المفاهيم التي تألقت في كلام العقيلة زينب عليها السلام هو مفهوم التوحيد؛ والتوحيد كعقيدة إيمانية يرافق حركة الإنسان منذ ولادته - وهي الفطرة - إلى وفاته، فقد تفاوت الناس في هذه الرتبة الإيمانية وتفاوتوا في مفهومهم للتوحيد؛ حتى ورد في الحديث النبوي الشريف عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قيل له: يا رسول الله لقد شوهد عيسى بن مريم عليه السلام يمشي على الماء!؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

لو زاد يقينه لمشى على الهواء[1].

وفي إبراهيم قال عز وجل:

«وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين»[2].

ومن هنا: نلمس أن مفهوم التوحيد عند العقيلة زينب عليها السلام يرقى إلى تلك الرتبة التي تحدث عنها القرآن الكريم والنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فزينب الكبرى رأت بعين اليقين جمال الملكوت وأيقنت أن هذا الجمال والجلال لا يصدر إلا عن الجميل الذي أضفى من جماله على هذا الكون.

ثم أنها أيقنت أيضاً أن هذا الجميل لا يصدر عنه إلا كل شيء جميل فإن

---

(١) مستدرك الوسائل للنوري: ج ١١، ص ١٩٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٧٥.

كتب الحياة أو القتل فهما سيان من الجمال وأن قدر الصحة أو المرض فهما في الجمال شيء واحد؛ وكذلك الفقر والغنى والشدة والرخاء؛ أو العسر واليسر فكله جميل وجماله ليس بلحاظ جوهر الشيء؛ إذ من البديهي أن العافية أرجى للعبد من المرض وكذلك الغنى والرخاء واليسر وطول العمر وغيرها من المطالب الحياتية فهي أرجى وأنعم لكل إنسان من حيث جوهرها.

ولكن العقيلة عليها السلام لا تنظر إلى جوهر هذه المطالب وإنما تنظر إلى صنع الله تعالى وما يختاره لعبده فإن هذا الاختيار جميل، وهذا التقدير جميل، فلا يصدر عن الله تعالى إلا الجمال.

ولذلك: تساوى عندها عليها السلام الصحة والمرض، والغنى والفقر، والعسر واليسر.

وهنا ملاحظة: قد يرقى كثير من المؤمنين إلى رتبة من التوحيد يتساوى عنده البلاء والرخاء، فيعدهما سيين لأنّ محلّ صدورهما هو الله.

ولكن.. أن يرى هذا التقدير جميلاً فيأنس به كما يأنس الشارد الظامئ بواحة غناء، فيها عذب الماء.

فهذا مرهون بأهل البيت عليهم الصلاة والسلام ولاسيما صاحبة العصمة الصغرى عقيلة حيدر عليهما السلام.

ولذلك: تلازم عندها مفهوم الجمال ومفهوم التوحيد، وهو ما دلّ عليه قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لمّا سئل عن معنى «إن الله جميل ويحب الجمال»[1]؟

---

(١) هذا الحديث الشريف ذكره جمع من المحدثين في كتبهم، منهم الشيخ الكليني رحمه الله: ←

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«أحد صمد لم يلد ولم يولد».

وقد أردف الفخر الرازي هذا الحديث الشريف بقوله: «لأنه إذا لم يكن واحداً عديم النظير جاز أن ينوب ذلك المثل منابه، ولذلك سميت سورة التوحيد بـ«سورة الجمال»»(١).

ولأنها عليها السلام قد أيقنت أنّ الله تعالى واحد لا شريك له فقد ردت على قول ابن زياد حين سألها: «كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك»؟. قالت:

«ما رأيت إلا جميلاً هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن الفلج»(٢).

كلمات رسمت على صفحات الحضارة الإنسانية لوحةً زاهية الألوان، وأضحت الملامح لكل إنسان يريد بيقين أن يختار طريقه في الحياة.

كلمات أسست منهجاً راقياً لمن أراد أن يؤمن بالغيب واليوم الآخر ويرى جمال الحكمة.

﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٣).

الكافي، ج٦، ص ٤٣٨. وسائل الشيعة: ج٤، ص٤٥٥. العلامة الحلي رحمه الله في إرشاد الأذهان: ج١، ص٥٧. مستند الشيعة للمحقق النراقي: ج٤، ص ٣٧٢. نيل الأوطار للشوكاني: ج٢، ص ١٠٨. مسند احمد: ج١، ص٣٩٩. صحيح مسلم: ج١، ص٦٥، باب: من مات لا يشرك بالله شيئاً.

(١) تفسير الرازي: ج ٣٢، ص ١٧٦.

(٢) البحار: ج ٤٥، ص ١١٦.

(٣) سورة الصافات، الآية: ١٨١.

مصادر الكتاب

القرآن الكريم.

مصادر علم التفسير

١. تفسير سعد السعود للعلامة السيد ابن طاووس / طبع ونشر منشورات الرضا عليه السلام/ قم.

٢. تفسير الميزان للعلامة محمد حسين الطباطبائي / طبع منشورات جماعة المدرسين/ قم.

٣. تقريب الأذهان لسماحة المرجع الديني السيد محمد الشيرازي رحمه الله/ طبع دار العلوم.

٤. شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني / طبع ونشر مجمع إحياء الثقافة الإسلامية/ تحقيق الشيخ المحمودي.

٥. تفسير البغوي / طبع دار إحياء التراث العربي / بيروت.

٦. تفسير الكشاف للزمخشري / طبع مصطفى البابي / حلب.
٧. تفسير الثعلبي / طبع سنة ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م / نشر دار إحياء التراث العربي.
٨. تفسير النسفي / لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي / طبع دار الفكر / بيروت.
٩. تفسير القرطبي / طبع مؤسسة التاريخ العربي.
١٠. تفسير ابن العربي / طبع سنة ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م / نشر دار الكتب العلمية.
١١. تفسير الكبير للفخر الرازي / الطبعة الثالثة.
١٢. تفسير الآلوسي.
١٣. تفسير أبي السعود / طبع ونشر دار إحياء التراث العربي / بيروت.
١٤. تفسير البيضاوي / طبع دار الفكر / بيروت.
١٥. تفسير الثعالبي / ط دار إحياء التراث العربي / بيروت.
١٦. خصائص الوحي المبين لابن البطريق، ط ونشر دار القرآن الكريم.

مصادر علم الحديث

١٧. مسند زيد بن علي / ط دار مكتبة الحياة.
١٨. نهج البلاغة (خطب الإمام علي عليه السلام) بشرح محمد عبده.
١٩. نهج البلاغة بشرح ابن أبي الحديد المعتزلي / طبع دار إحياء التراث العربي.
٢٠. الكافي للشيخ الكليني / طبع دار الكتب الإسلامية / طهران.
٢١. الآمالي للشيخ الصدوق / طبع مؤسسة البعثة.
٢٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق / ط مؤسسة الأعلمي.
٢٣. دعائم الإسلام للقاضي النعمان المغربي/نشر دار المعارف/القاهرة لسنة ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م.

٢٤. معاني الأخبار للصدوق / نشر مؤسسة النشر الإسلامي لسنة ١٣٧٩هـ / قم.
٢٥. علل الشرايع للصدوق نشر المكتبة الحيدرية.
٢٦. من لا يحضره الفقيه للصدوق/الطبعة الثانية/ نشر مؤسسة النشر الإسلامي/قم.
٢٧. كامل الزيارات لابن قولويه / نشر مؤسسة نشر الفقاهة لسنة ١٤١٧هـ.
٢٨. الطرائف السيد ابن طاووس نشر الخيام / قم.
٢٩. إقبال الأعمال لسيد ابن طاووس / طبع ونشر مكتب الأعلام الإسلامي.
٣٠. العمدة لابن البطريق / طبع ونشر مؤسسة النشر الإسلامي.
٣١. وسائل الشيعة للحر العاملي / نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام / قم.
٣٢. مستدرك الوسائل للشيخ النوري.
٣٣. بحار الأنوار للعلامة المجلسي / طبع مؤسسة الوفاء / بيروت.
٣٤. صحيح البخاري / طبع ونشر دار الفكر / بيروت.
٣٥. صحيح مسلم / طبع ونشر دار الفكر / بيروت.
٣٦. فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني / طبع ونشر دار المعرفة.
٣٧. عمدة القاري بشرح صحيح البخاري للعيني / طبع دار إحياء التراث العربي.
٣٨. سنن الترمذي / طبع ونشر دار الفكر.
٣٩. مسند احمد بن حنبل / طبع دار صادر / بيروت.
٤٠. مسند أبي يعلي الموصلي / طبع دار المأمون للتراث.
٤١. صحيح ابن حيان / طبع مؤسسة الرسالة.
٤٢. المصنف لابن أبي شيبة الكوفي / نشر دار الفكر / بيروت.
٤٣. مجمع الزوائد للهيثمي / طبع ونشر دار الكتب العلمية.
٤٤. المعجم الكبير للطبراني / طبع دار إحياء التراث العربي.

٤٥. فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، ط ونشر دار الكتب العلمية.

٤٦. كنز العمال للمتقي الهندي.

٤٧. شرح مسند أبي حنيفة للملا علي القاري / ط دار الكتب العلمية.

٤٨. نيل الأوطار للشوكاني / طبع دار الجيل.

٤٩. تحفة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي للمباركوي / طبع دار الكتب العلمية.

مصادر علم الفقه

٥٠. رسائل المرتضى / طبع دار القرآن الكريم.

٥١. الخلاف للشيخ الطوسي / ط مؤسسة النشر الإسلامي.

٥٢. المعتبر للمحقق الحلي / طبع مؤسسة سيد الشهداء عليه السلام.

٥٣. إرشاد الأذهان للعلامة ابن فهد الحلي / طبع مؤسسة النشر الإسلامي.

٥٤. اللمعة الدمشقية للشهيد الأول / طبع ونشر جامعة النجف الدينية.

مصادر علم السيرة

٥٥. الإرشاد للشيخ المفيد / طبع دار المفيد.

٥٦. الاختصاص للشيخ المفيد / طبع دار المفيد.

٥٧. المناقب لابن شهر آشوب المازندراني / طبع المطبعة الحيدرية.

٥٨. أعلام الورى للطبرسي / طبع مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

٥٩. بناء المقالة الفاطمية للسيد ابن طاووس.

٦٠. النوادر للراوندي / طبع مؤسسة دار الحديث للثقافة.

٦١. الاحتجاج للطبرسي / ط دار النعمان / النجف الأشرف.

٦٢. كشف الغمة للآربلي / طبع دار الأضواء / بيروت.

٦٣. مناقب أمير المؤمنين عليه السلام للكوفي : طبع مجمع إحياء الثقافة الإسلامية / قم.

٦٤. تنبيه الغافلين لابن كرامة، ط ونشر مركز الغدير للدراسات.

٦٥. وقعة صفين لنصر بن مزاحم / طبع مكتبة المرعشي.

٦٦. مستدرك سفينة البحار / الشيخ علي النمازي / طبع جماعة المدرسين ـ قم.

٦٧. جامع أحاديث الشيعة للبروجردي / طبع منشورات مدينة العلم.

٦٨. جواهر المطالب لابن الدمشقي / طبع إحياء الثقافة.

٦٩. بشارة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم للطبري / طبع مؤسسة النشر الإسلامي.

٧٠. حلية الأبرار للبحراني / ط مؤسسة النشر الإسلامي.

٧١. شرح إحقاق الحق المرعشي / طبع مكتبة آية الله المرعشي.

٧٢. إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام للسماوي / مركز الدراسات الإسلامية / قم.

٧٣. العوالم للبحراني / طبع مدرسة الإمام المهدي ا / قم.

٧٤. ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من تاريخ دمشق / طبع مجمع إحياء الثقافة الإسلامية / قم.

٧٥. النصائح الكافية لابن عقيل العلوي / طبع دار الثقافة / قم.

٧٦. مشكاة الأنوار للطبرسي / طبع المكتبة الحيدرية.

٧٧. أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين / طبع دار التعارف.

٧٨. غرر الحكم.

٧٩. مدينة المعاجز للبحراني / طبع مؤسسة المعارف الإسلامية.

٨٠. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام لمعهد تحقيقات باقر العلوم.

٨١. مكارم الأخلاق للطبرسي / طبع منشورات الشريف الرضي.

٨٢. الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي / طبع مكتبة الصدر / طهران.

٨٣. معالم المدرستين للعسكري / طبع مؤسسة النعمان.

٨٤. شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي / طبع مؤسسة النشر الإسلامي.

٨٥. مستدركات أعيان الشيعة.

٨٦. ينابيع المودة للقندوزي / طبع دار الأسوة.

٨٧. مطالب السؤول لابن طلحة / تحقيق ماجد العطية.

٨٨. مناقب الإمام علي للخوارزمي.

٨٩. ذخائر العقبى للطبري.

٩٠. الفصول المهمة لابن الصباغ، نشر دار الحديث.

٩١. الذرية الطاهرة للدولابي / طبع الدار السلفية.

٩٢. الدر النظيم لابن حاتم / طبع مؤسسة النشر الإسلامي.

٩٣. معارج الأصول إلى معرفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للزرندي / تحقيق ماجد العطية.

٩٤. نزهة الناظرين للحلواني.

٩٥. نهج الإيمان لابن جبر، طبع ونشر مجتمع إمام هادي عليه السلام مشهد.

٩٦. العدد القوية لعلي بن يوسف الحلي، طبع ونشر مكتبة المرعشي.

٩٧. السيرية الحلبية، نشر دار المعرفة – بيروت.

٩٨. الشمائل للقاضي عياض / طبع دار الفكر.

٩٩. الشفا للقاضي عياض / طبع دار الفكر.

١٠٠. فضائل آل البيت عليهم السلام للمقريزي / تحقيق علي عاشور.

مصادر علم المقاتل

١٠١. مقتل الحسين لأبي مخنف / طبع المطبعة العلمية / قم.

١٠٢. مقتل الحسين للمقرم / طبع مؤسسة النور / بيروت.

١٠٣. اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس / طبع أنوار الهدى / قم.

١٠٤. مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الإصفهاني / طبع مؤسسة دار الكتاب.

١٠٥. المجالس الفاخرة للعلامة عبدالحسين شرف الدين / طبع مؤسسة المعارف.

١٠٦. لواعج الأشجان للسيد محسن الأمين / طبع مكتبة بصيرتي.

١٠٧. مثير الأحزان لابن نما الحلي طبع الطبعة الحيدرية.

مصادر علم الرجال

١٠٨. رجال الكشي / طبع الهند.

١٠٩. تهذيب التهذيب لابن حجر / طبع دار الفكر / بيروت.

١١٠. تذكرة الحفاظ للذهبي / طبع دار إحياء التراث العربي / بيروت.

١١١. تهذيب الكمال للمقري.

١١٢. الاستيعاب لابن عبد البر / طبع دار الجيل.

١١٣. أسد الغابة لابن الأثير / طبع اسماعيليان.

١١٤. الإكمال في أسماء الرجال لابن ماكولا / طبع مؤسسة أهل البيت عليهم السلام.

مصادر علم التاريخ

١١٥. تاريخ الطبري / طبع الأعلمي.

١١٦. تاريخ الأحاديث والآثار للزيلعي / طبع دار ابن خزيمة.

١١٧. تاريخ الإسلام للذهبي / طبع دار الكتب العربي.

١١٨. الوافي بالوفيات للصفدي / طبع دار إحياء التراث.

١١٩. الكامل في التاريخ لابن الأثير / طبع دار صادر.

١٢٠. البداية والنهاية لابن كثير.

١٢١. الفتوح لابن أعثم / طبع دار الأضواء.

١٢٢. الكافي في التاريخ / طبع دار إحياء التراث العربي.

١٢٣. وفيات الأعيان / لابن خلكان ـ طبع دار صادر.

١٢٤. أخبار الدول للقرماني.

١٢٥. المغازي للواقدي.

مصادر علوم اللغة العربية والأدب

١٢٦. كتاب العين للفراهيدي.

١٢٧. لسان العرب لابن منظور.

١٢٨. الصحاح للجوهري طبع دار العم للملايين.

١٢٩. الفروق اللغوية لابن هلال العسكري.

١٣٠. معجم ما استعجم للبكري الأندلسي / طبع عالم الكتب / بيروت.

١٣١. تاج العروس للزبيدي.

١٣٢. نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب للتمساني / ط دار صادر.

١٣٣. مجمع البحرين للطريحي.

١٣٤. خزانة الأدب للبغدادي طبع دار الكتب العلمية.

١٣٥. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير / طبع اسماعيليان.

مصادر متفرقة

١٣٦. معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة / طبع مؤسسة الرسالة.

١٣٧. مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي.

١٣٨. الموضوعات لابن الجوزي.

١٣٩. دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية للشيخ المنتظري / طبع المركز الإسلامي العالمي للدراسات الإسلامية.

١٤٠. أصل الشيعة وأصولها، الشيخ كاشف الغطاء، نشر مؤسسة الإمام علي عليه السلام.

١٤١. مقدمة في علم الجمال، تأليف: م. محمد سعد حسان وخلود بدر غيث و م. معتصم عزمي الكرابلية، طبع مكتبة المجتمع العربي ـ الطبعة الثانية ـ.

١٤٢. موجز في علم الجمال، تأليف: آمال حليم الصراف، طبع مكتبة المجتمع العربي، الطبعة الأولى.

١٤٣. فلسفة الفن والجمال، الإبداع والمعرفة الجمالية، تأليف: حامد سرمك، طبع دار الهادي ـ الطبعة الأولى.

إصدارات قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة الحسينية المقدسة

ت	اسم الكتاب	تأليف
١	السجود على التربة الحسينية	السيد محمد مهدي الخرسان
٢	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الانكليزية	
٣	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الأردو	
٤	النوران ـ الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٥	هذه عقيدتي ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٦	الإمام الحسين عليه السلام في وجدان الفرد العراقي	الشيخ علي الفتلاوي
٧	منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان	الشيخ وسام البلداوي
٨	الجمال في عاشوراء	السيد نبيل الحسني
٩	ابكِ فإنك على حق	الشيخ وسام البلداوي
١٠	المجاب بردّ السلام	الشيخ وسام البلداوي
١١	ثقافة العيدية	السيد نبيل الحسني
١٢	الأخلاق (تحقيق: شعبة التحقيق) جزآن	السيد عبد الله شبر
١٣	الزيارة تعهد والتزام ودعاء في مشاهد المطهرين	الشيخ جميل الربيعي
١٤	من هو؟	لبيب السعدي
١٥	اليحموم، أهو من خيل رسول الله أم خيل جبرائيل؟	السيد نبيل الحسني
١٦	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
١٧	أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم	السيد نبيل الحسني
١٨	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق)	السيد محمدحسين الطباطبائي
١٩	الحيرة في عصر الغيبة الصغرى	السيد ياسين الموسوي
٢٠	الحيرة في عصر الغيبة الكبرى	السيد ياسين الموسوي

٢١ ـ ٢٣	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ـ ثلاثة أجزاء	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٤	القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ وسام البلداوي
٢٥	الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة	السيد محمد علي الحلو
٢٦	قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ حسن الشمري
٢٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية	السيد نبيل الحسني
٢٨	موجز علم السيرة النبوية	السيد نبيل الحسني
٢٩	رسالة في فن الإلقاء والحوار والمناظرة	الشيخ علي الفتلاوي
٣٠	التعريف بمهنة الفهرسة والتصنيف وفق النظام العالمي (LC)	علاء محمدجواد الأعسم
٣١	الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام	السيد نبيل الحسني
٣٢	الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٣	الخطاب الحسيني في معركة الطف ـ دراسة لغوية وتحليل	الدكتور عبدالكاظم الياسري
٣٤	رسالتان في الإمام المهدي	الشيخ وسام البلداوي
٣٥	السفارة في الغيبة الكبرى	الشيخ وسام البلداوي
٣٦	حركة التاريخ وسننه عند علي وفاطمة عليهما السلام (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٧	دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء ـ بين النظرية العلمية والأثر الغيبي (دراسة) من جزءين	السيد نبيل الحسني
٣٨	النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الثانية	الشيخ علي الفتلاوي
٣٩	زهير بن القين	شعبة التحقيق
٤٠	تفسير الإمام الحسين عليه السلام	السيد محمد علي الحلو
٤١	منهل الظمآن في أحكام تلاوة القرآن	الأستاذ عباس الشيباني
٤٢	السجود على التربة الحسينية	السيد عبد الرضا الشهرستاني
٤٣	حياة حبيب بن مظاهر الأسدي	السيد علي القصير
٤٤	الإمام الكاظم سيد بغداد وحاميها وشفيعها	الشيخ علي الكوراني العاملي
٤٥	السقيفة وفدك، تصنيف: أبي بكر الجوهري	جمع وتحقيق: باسم الساعدي
٤٦	موسوعة الألوف في نظم تاريخ الطفوف ـ ثلاثة أجزاء	نظم وشرح: حسين النصار
٤٧	الظاهرة الحسينية	السيد محمد علي الحلو
٤٨	الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام	السيد عبدالكريم القزويني
٤٩	الأصول التمهيدية في المعارف المهدوية	السيد محمدعلي الحلو

٥٠	نساء الطفوف	الباحثة الاجتماعية كفاح الحداد
٥١	الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد	الشيخ محمد السند
٥٢	خديجة بنت خويلد أُمّة جُمعت في امرأة – ٤ مجلد	السيد نبيل الحسني
٥٣	السبط الشهيد – البُعد العقائدي والأخلاقي في خطب الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
٥٤	تاريخ الشيعة السياسي	السيد عبدالستار الجابري
٥٥	إذا شئت النجاة فزر حسيناً	السيد مصطفى الخاتمي
٥٦	مقالات في الإمام الحسين عليه السلام	عبدالسادة محمد حداد
٥٧	الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني	الدكتور عدي علي الحجّار
٥٨	فضائل أهل البيت عليهم السلام بين تحريف المدونين وتناقض مناهج المحدثين	الشيخ وسام البلداوي
٥٩	نصرة المظلوم	حسن المظفر
٦٠	موجز السيرة النبوية	السيد نبيل الحسني
٦١	ابك فإنك على حق – طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٦٢	أبو طالب ثالث من أسلم – طبعة ثانية، منقحة	السيد نبيل الحسني
٦٣	ثقافة العيدية – طبعة ثالثة	السيد نبيل الحسني
٦٤	نفحات الهداية – مستبصرون ببركة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ ياسر الصالحي
٦٥	تكسير الأصنام بين تصريح النبي وتعتيم البخاري	السيد نبيل الحسني
٦٦	رسالة في فن الإلقاء والحوار والمناظرة	الشيخ علي الفتلاوي
٦٧	شيعة العراق وبناء الوطن	الدكتور محمد جواد مالك
٦٨	الملائكة في التراث الإسلامي	الشيخ حسين النصراوي
٦٩	شرح الفصول النصيرية – تحقيق شعبة التحقيق	السيد عبدالوهاب الأسترآبادي
٧١	صلاة الجمعة – تحقيق: الشيخ محمد الباقري	الشيخ محمد التنكابني
٧٢	أسرار فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام	الشيخ محمد حسين اليوسفي